يا لك هرة أكلت بنيها !

★

نحن الذين نؤمن بالفكر ، ونحيا لابلاغ رسالته ، ونكافح من اجل تركيز قيمه الحق : يؤلمنا بل يشقينا ، ان نرى الفكر كيف ينحدر في هذا الجزء من الوطن العربي ، وكيف تخدد له الاخاديد ، في اصرار مجرم ، وموجدة حقود ، وقصد هو الاثم .

مع كل يوم ، في هذا الجزء من الوطن العربي ، نشهد من مآسي الفكر الوانًا ، تحمل الناس اي الناس ، على الاشمئزاز والازورار والتأفف ، وتحملنا — نحن الذين نشعر بشعور القداسة نحو الفكر وفي محرابه — على الاستنكار الصارخ بكبرياء الحق ضد الباطل ، وادلال الطبيعة ضد التصنع ، وثقة الثابت ضد الزيف .. يحملنا على الاستنكار الطاغي الخالق ، والتحدي الهادم الباني :

اجهر بصوتك لا يأخذك ترويع   لا ينفع الصوت الا وهو مسموع .

في هذا الجزء من الوطن ، الذي يتنزل الفكر في مقدمة مفاخره ، يحتقر المسؤلون الفكر الصادق المخلص ، ويعملون على خنقه في غير مبالاة ودون حساب ، كي ينعم بخيره من دون رجاله الحقيقيين الخالدين ، طغمة مزورة ، وفئات مسممة منكرة ، ترعرعت بالامس في ظل الاجنبي ، وهي تستط اليوم احتكامًا واعتسافًا في ظلال الوطني . فكان هذا الوطن :

كتاركة بيضها في العراء   وملبسة بيض اخرى جناحا ...

ما عرفت وطنًا صنو لبنان ، يلد العبقرية ثم لا يحضنها ، وتتفجر فيه ارضه وسماؤه بينابيع من الالهام . ثم ينكمش عنها لتصب في غير اقنيته ، وتجري في غير عروقه ، وتتمثل طاقة في غير وجوده .

فالى كل مكان انطلقت منه عبقريات ، وما انطلقت امتدادًا بل نجاء :

فيا لك هرة اكلت بنيها   وما ولدوا وتنتظر الجنينا ...

على ادب «فياض» المفوف استنفاق هذا الجيل الجديد ، وببيانه الذي هتفت به بنات الخلد صحا وانتشى ، ولجيله بل وللاجيال قدم ارث صدق حفلت به لغة الضاد .

وهو اليوم يغترب ، ويلح في ميل الاغتراب ، ولم ؟. لان الوطن — بما يترع فيه من نضح التسميم — يرجح الغِلمة في مستواها على العِلية في مداهـا . فلا بدع اذا ازور هذا الاديب الامام ، ومد قوادمه يريد التحليق تاركًا مجتمعه الذي غذاه باز كى لبان . « لبنان » الذي قال فيه :

اني لأبذل انفاسي بـلا ثمن   حتى اراك كما اهواك يا وطني

فقد حاوله يومًا ، بمثل ما حاول البلبل — في مثل عربي قديم — الضفدع على التحليق والهديل ، وبعد لأي من جهد ، ظلت لا تحسن الا النقيق والرسوب :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا   ان لا تفارقهم فالراحلون هم .

عبد الله العلايلي

الدكتور نقولا فياض



ان تكون القافلة الاولى في عهد البعث تبدأ بالشيخ نصيف اليازجي ، ومن رجالها المعلم بطرس البستاني ، واحمد فارس الشدياق ، ويوسف الاسير ، وابرهيم الاحدب ، وخليل الخوري ، ومارون النقاش ، وان تكون القافلة الثانية تطل تحت لواء الشيخ ابرهيم اليازجي ، ومن ابطالها اديب اسحاق ، ونجيب الحداد ، ومحيي الدين الخياط ، وابرهيم الحوراني ، وتامر الملاط ، وعبدالله البستاني ، وسليمان البستاني ، وجبر ضومط ، وعيسى المعلوف ، فالدكتور فياض من رجال القافلة الثالثة الحافلة بخليل مطران ، وشكيب ارسلان ، ومصطفى الغلاييني ، وشبلي الملاط ، والياس فياض ، وامين تقي الدين ، وطانيوس عبده ، وامين ناصر الدين ، وابرهيم المنذر ، وبشاره الخوري ، ونجيب نسيم طراد ، وجبران خليل جبران ، وامين الريحاني ، وفليكس فارس ، وداود مجاعص ، ووديع عقل ، ونجيب حبيقه ، واسعد رستم ، وجرجي شاهين عطية .

والطابع المتجلي في القافلة الثالثة في معظمها هو طابع الخطابة والشعر . فالعهد فرض عليها الوقوف على المنابر وصوغ القريض فأجادت الفنين . وكان للنهضة التمثيلية يدها الطولى على هذه الفئة المحترفة الادب تودعه مواهبها . فأحيا فيها التمثيل روح الخطابة ، ورفع بها المنبر والفن التمثيلي رأسيهما عاليين . فما عرف الملعب العربي عهداً زاهراً كذلك العهد المتعكف عليه فيه قوم أوتوا روعة السبك ودقة الفن ، فابدعوا ابداعا لا يبرح يعز حتى اليوم فيه النظير .

ونقولا فياض من القافلة في الصف الاول . فهو ممن سادوا المنابر بنبرته المشتعلة ايماناً وقوة ، الهادرة كالسيل . فنفخ في بني قومه الجرأة حتى في ظل عبد الحميد . ودعا الى هدم منعة ارباب المال المنتفخين لاعتصامهم بالنضار ، لا لجاه ولا لعلم . وبلغت هذه الصيحة آذان الجماهير للمرة الاولى فبدأ بها الشعب يدرك انه ذو حق في الحياة ، فكأن «دانتون» يشعل نار الثورة في صدر باريس

والدكتور فياض اشتغل بالتمثيل قبل اعتلائه المنبر . فألف فيه وصلب عوده في الخطابة فكان اول من دل بني قومه على مكمن الالم ليقتلعوه . ان هو الا رسول بار من رسل الحرية الميامين !

وعالج الادب فيما يمارس الطبابة . وتضلعه من الفرنسية اسعفه في التفنن ، فيخرج عن المألوف سواء في شعره او في نثره . واشرف على آفاق جديدة كانت شبه مجهولة في الادب العربي . فاذا اطلق بيانه استند فيه الى العلم وقد جاوز بعلمه الفطرة وصقل به موهبته الفائرة المتحفزة ابداً للتفوق في الوثوب .

والخطيب المبسوط الجناحين شاء ان يكون صاحب رسالة في فنه . فانشأ كتابه «فن الخطابة» للمبتدين . وهو كتاب يكاد يكون بكراً في الادب العربي . فالمطبوع على الخطابة يجد فيه زاده وقد ومضت في الصفحات قدرة المنشئ على تذليل وعورة الكلام في الناس والوقوف على المنبر باطمئنان ضمير .

وتلا «فن الخطابة» كتاب «على المنبر» وقد جمع فيه الخطيب الملم صفوة خطبه وهي الشفافة عن طول باع نقولا فياض في معالجة ادواء الانسانية ، والحض على اعتماد الطريق القويم . وكان لهذه الصيحات الصادقة اثرها الرهيف في العالم العربي اجمع . ونقم العثمانيون على الخطيب الماضي اللسان ، القاطع الرأي ، فلاذ بمصر يغرد فيها على نواضر الافانين .

ومصر حضنته وقد ادركت قدره . فكتب في صحفها ومجلاتها الفصول المشفعة درساً وروعة ، حتى ان الدكتور شبلي الشميل عرض عليه اعادة مجلة «الشفاء» الى الصدور . وهي مجلة الفيلسوف شميل البعيدة الشهرة . ولكن فياضاً اكتفى بالطبابة وبالادب . ففتن بخطبه وبقوافيه . فهو خطيب وشاعر معاً وكم انطلق فؤاده بالشدو الرخيم . فليس يميل في ابياته الى الترصيع والتنميق ، بل يدفعها عفواً كنعاج القطيع يسوقها راعٍ رفيق . وانه ليبدع في الترجمة مع سعيه لمقاربة الاصل . فيوفق لمضارعة من يترجم عنه في السياق والرونق . وشعره يتواثب كخطبه . فهو الشاعر الخطيب !

وفي نفس نقولا فياض عفة وصدق وجدان . فلا يبتذل نفسه ولا يتجنى على مخلوق . فالخلق النبيل ينطوي عليه صدر هذا الاديب الحيي كالبنفسجة ، والعطر الشميم كالبنفسجة . ولقد مال في السنوات الاخيرة عن الطبابة حابساً نفسه على الادب . ولكن الادب ابدى العقوق . فان اديباً كفياض ، رفع الادب اللبناني في لبنان ومصر وكل قطر عربي ، يجب ان يلتفت اليه وطنه لفتة الضنين بالابي الانوف ، لفتة تصون المجاهد المطوق الهامة باكلة الغار من الضنك المصور . فالاديب المرموق المكانة ليس بمن يجوز ان ينساه من يفاخرون بادبه الغالي السمين . هم يتغنون بادبه المحبوك من فلذات كبده ، وهو يجرع مرارة المغبون الهضيم !

كرم ملحم كرم

الخليقة

✯

ينظم الدكتور سليم حيدر نشيدة « ملحمة » موضوعها « الخليقة » يتصور فيها خلق العالم من العدم الى الوجود ، ويصف آدم وحواء والخطيئة وخروجها من الجنة ، وزواجها وصراع قايين وهابيل والطوفان وبرج بابل ... الى ما هنالك من الاساطير ، متتبعاً النصوص الدينية حيناً ، مطلقاً لخياله العنان احياناً ، متوسلاً الى الصورة في الاسطورة ، بجميع وسائل الفن .

ولا نعلم ولا يعلم هو ، ولا يعلم الا الله متى تنتهي هذه النشيدة والى اين يجنح الخيال بشاعرها .

ونثبت هنا مقطعين يصوران حنين الشاعر الى العدم ومحاولة وصفه ، وهما – حتى الان ، على حد قول صاحبها – مطلع النشيدة .

●

يا مطايا الخيال ، هذا جناني فاحمليه الى اصول الزمان

اخرجي فيه من نصاب الاداهير ، مشوقاً ، ومن نطاق المكان

لا العجيلى ، في السير ، تلحق بالنجوى ، ولا الهيدبى تقل الاماني

ومضة يا خيال من ومضات الوعي في حدسه القصي الداني

والق هذا الفؤاد في الازل البكر ، على غفوة من الحدثان

حيث لا نبضة تضج بعرق حيث لا «أول» على هام «ثان»

حيث لا مطمع يبث تخوماً في المدى . حيث لا مدى ذو معان

حيث تنداح بزرة العدم الخصب انتظاراً لساعة الامكان !

إحمليني ! فان بي مثل شوق للبعيد البعيد في الازمان

ولعل الفؤاد ، في دكنة الآزال ، يحظى بغرة العرفان ! ..

*

عدماً كان . بانتظار الوجود مطمئناً على صعيد الخلود

كل قول ، في وصفه ، مستعار او مكنى ، والفصل في التجريد

فاتخري ، ياسفائن الفكر ، تيهاً في عباب المجاز ، بيت القصيد

أنا ، لولا البيان يسكب فكري كرهاً في قوالب التقليد

لتخطيت كل حد الى ما خلف هذا الوجود من لا وجود !

اي حرف في « الضاد » – وهي حروف النور في متحف الرموز النضيد –

اي حرف ، على رفيف حواشيه اتساع لفكرة اللاحدود

هي دنيا المجهول ، تنتحر الرؤيا على سر بابها المرصود

فالبيان البيان ضرب من اللغو بعيد الاداء ، غير سديد

والخيال الخيال ، في قالب الحرف ، مهيض الجناح ، شبه قعيد !

سليم حيدر

احـــــلام الـهستريا

بقلم الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

✯

الى حين من الدهر كان فيه مستشفى «السالبتريار» قبلة انظار الاطباء وعلماء النفس وجمهور المثقفين ، للآفاق الجديدة التي كشفها الاستاذ شاركو في دروسه عن الامراض العقلية والعصبية . ولكن لم يكن من السهل على الغريب عن المهنة الوصول الى استماع هذه الدروس لان شاركو كان يقفل ابواب ناديه دون العامة من الناس اولاً لان هذه المباحث الجديدة التي كانت تنذر بانقلاب غير يسير في المعارف الفلسفية والتاريخية والحقوقية لم يكن من ورائهـا سوى التعب للعقول غير المستعدة شأن كل علم جديد يصعب التمييز فيه بين الممكن والمشتبه به ، وثانياً لانه كان يضن بالانسانية المتألمة ان تكون ملهىً للناظرين كما على ملاعب التمثيل ، وثالثاً لان مشهد النوب العصبية يعدي وكثير من المستعدين لهذه الامراض تؤثر فيهم هذه الامور الى درجة يضطر معها الطلبة والمساعدون الى ترك استاذهم وسط المحاضرة والانصراف الى الاهتمام بمن تصيبه النوبة من السيدات الحسان الحاضرات . واذا كان منظر هذه الاعراض الهستيرية خطراً الى هذا الحـد فالاطلاع عليها بالقراءة لا يؤدي الى النتيجة عينها ولهذا يمكننا اختيار بعض الحوادث التي تهم الجمهور والتي دون ان تصل بالاذى الى بعض العقول المستعدة ، تعطينا فكرة صحيحة عن مدى واهمية هذه المباحث التي رفعت الستار عن كثير من الاشياء المجهولة وساعدت بعض العقول الصالحة على النضج .

ان نوبة الهستيريا القائمة على حركات تشنجية في الاعضاء وهياج متقطع تنتهي بهذيان يتخيل فيه المريض بقوة وايمان انه يرى ويعيش بعض حوادث مهمة من حياته الماضية . ففي القرون الوسطى وحتى القرن الاخير عندما كانت التربية الاروبية دينية محضة وعذاب النفس قائم على العراك بين الارواح الطيبة والخبيثة كان للشياطين والملائكة المدخل الاكبر في هذا الهذيان ، اما اليوم فكل بنات العامة تقريباً اللواتي يعالجن في المستشفيات ، هذيانهن عاطفي محزن اكثر مما هو روحاني وسببه هجر صديق او جفاء حبيب على ان هذا الهذيان لا يحيد في تطوره شعرة عن الهذيان القـديم . يروى ان مريضة في مستشفى شاركو انتابها النوبة العصبية للمرة الاولى وهي في السادسة عشرة على اثر حريق التهم منزل ابيها . ثم بعد زمن كانت تشهد رواية جول فرن « الطواف حول الارض في ثمانين يوماً » فهالها مشهد الافاعي عند ظهورها على المسرح والتفافها حول اثنتين من الممثلات فاصابتها النوبة ثانية . ولما هجرها حبيبها صارت النوب تعودها كل يوم وهذيانهـا يتناول الحريق والافاعي والهجران كأنما هي تعيش وسط هذه الحوادث فكانت تغمض عينيها وتبسط يديهـا كأنها تدفع هذه الافاعي الهائلة وهي تقص مـا ترى مرتجفة هلعاً وتصف المشاهد وصفاً دقيقاً



الدكتور نقولا فياض

رائعاً ثم تفيق من غيبوبتها وهي مثلي ومثلك كأنه لم يقع شيء .

امثال هذا الهذيان يتطور في جهات محدودة وهاك اهمها :

١) يكون الهذيان كاملاً والتخيل مطلقاً فيتحمله المريض كأنه شيء واقعي ويقصه باخلاص وصدق .

٢) ليس الهذيان اختراعاً من عقلها بل تذكارات لامور جرت الا انها تتوسع في وصفها وتخلع عليها حلة مسرحية .

٣) ليست الرؤيا جامدة فقد تظهر الى يمين المريضة او يسارها حسب الاحساس الجلدي (لان المهستر قد يفقد الاحساس في جانب من جسمه) ثم تتقدم وتختفي عندما تصير محاذية لوجه المريض .

فهذه الخواص الثلاث تساعد على الباس القصة التي يرويها المهسترون ثوباً من الحياة يزيد في تقريبها من الواقع . ومن المعروف انه يمكن في حالة النوم المصطنع ان توحي الى النائم ما تريد من الخيالات فتريه زهراً وتنشقه عطراً وتطعمه سكراً او ملحاً وتجعله يسمع كلاماً او يلمس اشياء وهمية لان المصاب بالهستريا محروم من الارادة فهو كالشمعة الطرية ينطبع عليه ما تشاء الارادة الغريبة عنه فيتصور حقاً انه يرى ويسمع ويشم ويتذوق ويلمس ما يحدثونه عنه . وهو يقص حالة هذيانه بعبارات سيالة فيها الكثير من دقة التفاصيل حتى يخال انها الحقيقة بعينها .

تبين مما مر ان حالة الهذيان قد يكون سببها تذكار مشهد من الحياة الماضية او تسلط ارادة غريبة ولكن هناك اموراً اكثر غرابة فقد يوحي المهستر الى نفسه في الليل مدة نومه الطبيعي او بتأثير الحلم — لان للاحلام مدخلاً كبيراً في حياة المهسترين — اضغاثاً يبلغ مدى تأثيرها درجة تبقي اثرها في الذاكرة بعد اليقظة كأنها شيء واقعي ولا بأس من الاسهاب في هذا الباب .

كثيراً ما يقع للمريضة في السالبتريار ان تتعلق بحب احد الطلبة او يتولد فيها كراهة له ونفور منه فتحلم به في نومها . وفي الغد عند اليقظة يكون اول ما تعمل الشكوى من التلميذ واحياناً من الاستاذ نفسه بدعوى انه راودها عن نفسها وقد يكون للشكوى ذيول لها اثرها لاسباب عدة كغياب الشهود مثلا او الصعوبة التي يلاقيها المتهم بتبرئه نفسه فتصور ايها القارئ ما يمكن الانتهاء اليه بهذه الشكوى ولا سيما لانها تحمل ظاهر الحقيقة بما فيها من التفاصيل والدقة في الوصف مما يحير اعظم القضاة لدى الاستنطاق .

ولا يمكن الاعتراض بان محاولة الاعتداء على طهارة فتاة تترك اثراً من آثار العراك كالجراح او غير ذلك فالهذيان نفسه يترك مثل هذه الآثار واليك بعض الامثلة .

يحكى ان فتاة عصبية المزاج شاهدت في النهار شاباً تعرفه معرفة سطحية . لم يكن للامر اهمية في حد ذاته ولكنها حلمت به في الليلة التالية كما يحدث للواحد منا عندما يحلم بشيء . وقع حديثاً . حلمت به انه لاحقها بشدة في طريقها وكانت الرحلة طويلة شاقة وعندما اعيتها الحيلة ولم يبق لها قوة لمتابعة السير القت بنفسها في حفرة فكسرت ساقيها . نهضت الفتاة في الغد بعد هذا الحلم وهي منهوكة القوى ولا سبيل لها الى تحريك رجليها واخذت تقص بحرارة الواثق من نفسه المؤمن بما يقول ان فلاناً تبعها في الطريق وسبب لها السقوط والكسر . وبعد الفحص تبين ان الساقين غير مكسورين ولكن بها شللاً . وقد بقي هذا الشلل ستة اشهر . اذاً يكفي حلم بسيط عند امثال هؤلاء المرضى ليترك آثاراً مادية يخال معها ان القصة واقعية . والى القارئ ما هو اهم .

قضت احدى المهسترات الليل في سريرها وهي تتألم كما شهد بذلك جاراتها المريضات والممرضات اللاء لم يفارقنها لحظة دون ان يكون هناك في الظاهر ما يزعجها في نومها . ولما استيقظت صباحاً اخذت تقص حادثة الليل وانها اشتبكت بالعراك مع احدهم وذكرت اسمه . وقد حاول الحاضرون اقناعها انها حلمت حلماً فما افلحوا بل كانت تشكو من آلام في بدنها هنا وهناك وابدت في الموضع الذي ادعت ان المعتدي ضربها فيه بقعاً من الدم المتجمد . هذا الدم المتجمد قد يظهر بتأثير الاستيحاء بالحلم والتصور وان هو الا اضطراب موضعي في الدورة الدموية والبرهان على ذلك اختبار بسيط طالما اجروه في السالبتريار : ضع على يد المهسترة ورقة صمغ او طابع بريد مثلا واربطه برباط سميك واختمه بالشمع حتى لا تمد اليد اليه . ثم اكد للمريضة ان ما وضعه على يدها حراقة فتجد بعد ساعات عند رفع الرباط ان الايحاء قد كفى ليفعل فعل الحراقة الحقيقية فاذا بالجلد قد ارتفع وتكون تحته سائل . هذا الاضطراب الموضعي الذي يسببه تأثير الايحاء او الحلم يفسر بشلل موقت في الاعصاب المحركة للاوعية والشرايين وهكذا يخلق الحلم حقيقة .

وليست هذه الامور هامة لغرابتها فقط بل لما تجره من العواقب في القضاء . فقد يحكم على بريء اذا شكاه مهستر صادق في اعتقاده . وقد اصبحت مثل هذه الحوادث نادرة الوقوع في حياتنا الحاضرة ولكن اذا رجعنا الى الماضي وجدنا بما وصلنا اليه من العلم تفسيراً لكثير من الحوادث التاريخية التي بقيت زماناً سراً من الاسرار . وسنبين ذلك في العدد القادم .

نقولا فياض

المدرسة اللبنـــانية

بقلم الدكتور رئيف ابي اللمع

الاستاذ في كلية الطب بجامعة بيروت الاميركية

كانت المدرسة فيما مضى مؤسسة تضم طلاباً يتعلمون اللغات ويدرسون الفنون ويستظهرون الكتب على يد اساتذة تخصصوا وبرعوا في الدرس والتنقيب . اي ان الغاية كانت علمية بحتة — العلم لمجرد العلم .

ولكن الاهداف تبدلت اليوم . فاصبحت المدرسة مؤسسة غايتها تربية النشء وتحضيره للحياة النافعة — له ولامته . لقد كانت المدرسة للتعليم فاصبحت للتربية . وصار التعليم وسيلة للتربية لا غاية لها .

والفضل في هذا الانقلاب العظيم يعود لثلاثة فلاسفة هم دون نزاع رسل التربية الحديثة وقادتها الاعلام وهم افلاطون وسبنسر وجان جاك روسو .

فخليق بكل وزير للتربية يشعر بمسؤليته ويقدرها قدرهـــا ، وحري بكل استاذ وكل والد وكل تلميذ ان يقرأ هذه الكتب : « جمهورية » افلاطون و « التهذيب » لسبنسر و « اميل » لجان جاك روسو . فهي الاساس الذي بني عليه التعليم الحديث ، وهي المشعل الذي يهتدي بنوره كل سالك في هذا السبيل .

وعلى هذا الاساس ، وفي ضوء هذا المشعل ، يجب ان تبنى « المدرسة اللبنانية » الجديدة لتقوم بدورها الوطني ولتعطي الثمار النافعة المفيدة — للفرد وللامة . اي ان تكون :

اولاً : المدرسة اللبنانية مدرسة عامة

ان التقدم البشري في جوهره الحقيقي هو تقدم هذا النوع من المخلوقات الحية — الانسان — في مداه العقلي . وهذا المدى العقلي لا ينمو ولا يتقدم الا بواسطة العلم . . فمنع هذه النعمة ، نعمة العلم ، عن بعض افراد الجنس البشري هو حكم عليهم بالانحطاط والتأخر والرجوع نحو طبقات الحيوان .

ان في كثير من انحاء العالم طبقات من الاعيان والاغنياء يهمها جداً ان تبقى بعض الطبقات الاخرى غبية جاهلة . ولماذا ؟ لانها تريد ان يبقى اولئك الناس ، مع اولادهم واحفادهم ، عبيداً فقراء جاهلين ، يأتمرون بأمرها ، فيخدمونها ويطيعونها ويقدمون لها ثمرة عملهم ممزوجة بعرق جبينهم وماء كرامتهم ، خاضعين خـــانعين صاغرين . فهي تدرك تمـــام الادراك ان العلم والعبودية ضدان لا يجتمعان . فالعلم اذن ضرورة من ضرورات الحياة « للفرد » اذ هو الطريق الوحيد للتقـــدم العقلي والاستقلال المادي والتحرر من كل ظلم واستعبـــاد سياسي او اجتماعي ، او اقتصادي . والعلم ضرورة من ضرورات الحياة « للامة » لان الامم هي مجموعة افراد . وكما يكون هؤلاء الافراد تكون تلك الامة .

لذلك وجب ان تعم نعمة العلم كل لبناني ولبنانية دون اي تحيز او استثناء . فينفذ قـــانون منع تشغيل الاحداث ، ويطبق نظام التعليم الاجباري الابتدائي في جميع انحاء لبنـــان ، وتصبح المدرسة اللبنانية مدرسة عامة تضم جميع اللبنانيين واللبنانيات .

ثانياً : المدرسة اللبنانية مدرسة وطنية

لا يستطيع منصف ان ينكر الخير الثقافي العميم الذي نشرته المدارس الاجنبية في لبنان . فهي ولا شك صاحبة الدور الاعظم في النهضة الثقافية الحديثة . ولكن هذا الخير ، الذي نقر به ونعترف ، ينقلب تماماً الى عكسه اذا تابعت هذه المدارس نهجها القديم في هذا العهد الجديد ، عهد الحرية والاستقلال .

ان المدارس الاجنبية في لبنان ، اذا كانت تريد الفائدة والخدمة ، واذا كانت تود الانتشار والازدهار ، يجب ان تنقلب الى مدارس وطنية ، وطنية بجدها وتوجيهها وروحها . فتأخذ اللغة العربية فيها مقامها الارفع ، وتدرس فيها جغرافية بلادنا وتاريخ امتنا ، درساً كاملاً يلم باعمال الماضي وآمال المستقبل ، ويوحي للطالب نهجه في الحياة ودوره في بعث نهضة الشرق .

وان تكون هذه الدروس الوسيعة العميقة اجبارية في المدارس الخاصة كما في المدارس الرسمية ، فلا ينال طالب شهادة تعترف بها الحكومة اللبنانية الا بعد ان يدرسها ويجتاز فيها الامتحان الرسمي .

وهذا النهج الجديد يطبق بالطبع ايضاً على المدارس الرسمية ، في الكتب التي يدرسها الطالب فيها ، وفي الاستاذ الذي يلقنه اياها ، وفي الجو الذي يخيم عليها . لاننا نريد بعد اليوم ان تنشيء المدارس في لبنان ، اجنبية كانت ام وطنية ، خاصة ام رسمية ، رجالاً يخدمون بلادهم لا غرباء لخدمة الاغيار .

ثالثاً : المدرسة اللبنانية بناية رسمية

ان لبناء المدرسة وجمال هندستها ونظافتها اثر كبير فعال من الوجهة الثقافية والتربوية والصحية . لذلك وجب ان تكون جميع

المدارس الحكومية ، من صغرى ووسطى وكبرى ، في بنايات جديدة رسمية ، تبنى كل فئة منها على نمط خاص ، في مكان فسيح تستوفى فيه جميع الشروط الثقافية والاجتماعية والصحية ، وتزود بالاثاث والادوات اللازمة .

ان ذلك يتطلب ولا شك نفقات كبيرة تنوء تحتها ميزانية وزارة التربية الوطنية . ولكن لو عنيت هذه الوزارة المحترمة والحكومات التي تعاقبت على لبنان منذ خمس وعشرين سنة ببناء خمس مدارس كل سنة — وهو عمل سهل قابل التحقيق اذ لاتتجاوز اكلافه ثلاثة الاف ليرة ذهبية سنوياً — لكان للبنان الان مائة وخمس وعشرون مدرسة رسمية جديدة صغرى ومتوسطة .

ولكن تقصير الماضي لا يحل من مسؤولية المستقبل . فالباب ما زال مفتوحاً والعمل ما زال ممكناً بل هو اليوم اسهل منه بالامس . ان مئة من اغنياء الحرب يستطيعون بناء مائة مدرسة اذا عرف اولو الامر كيف يتصلون بهم وكيف يضربون على وتر نخوتهم واريحيتهم . والافضل للخير ان يأتي متأخراً من ان لا يأتي ابداً . . . هذا اذا كان هناك امل في اتيان ذلك الخير .

رابعاً : المدرسة اللبنانية مدرسة مستقلة

ولا يكون ذلك الا اذا اسسنا معهداً يخرج المعلمين والمعلمات او انشأنا فرعاً خاصاً يدرس به من حاز شهادة البكالوريا اللبنانية فرع التعليم سنة او سنتين .

ان المعلم هو عنصر اساسي في المدرسة الحديثة بل هو قائدها وروحها . لانه المربي الذي يأتمنه الاباء على ابنائهم وبناتهم ، ويأتمنه الوطن على رجاله وبالتالي على مستقبله وكيانه .

اي مزية عاليه ام اي صفة كريمة لا نطلبها في المعلم ؟

اننا نطلب فيه العلم ، الاخلاق ، الوطنية ، الصدق ، الاستقامة ، اللطف ، البشاشة ، الصبر ، الحنو ، التهذيب ، الرصانة ، والرزانة .

فاذا طلبت من « بشر » كل هذه المزايا العالية والصفات الحميدة حق له ان يطلب منا كفاء لعيشه ، وتقديراً لعمله ، واستقلالاً لدائرته ، وتأميناً لمستقبله . كي لا يبقى ، كما هو الان ، آلة يلعب بها النواب ، ويتلهى بها الوجهاء ، ويستغلها المرتزقون والوسطاء .

خامساً : المدرسة اللبنانية مدرسة حرة

ان للحكومة حقاً ان تشرف على المدرسة اللبنانية ، خاصة كانت ام رسمية ، اشرافاً تاماً . بل عليها واجب مقدس ان تسهر على تربية النشء اللبناني الجديد وعلى توجيهه توجيهاً صحيحاً في علومه وفي صحته وفي وطنيته لينشأ الشباب اللبناني واسع العلم ، قوي الصحة ، صادق الوطنية . ولكن ليس للحكومة ان تتعدى هذه الحدود . اذ يصبح اذ ذاك عملها تعدياً على الحرية الشخصية وتحدياً للطموح والنبوغ .

تقوم اليوم في لبنان مشادة عنيفة حول تدريس اللغات الاجنبية في المدارس الحكومية والمؤسسات الخاصة . والبحث ينحصر في ثلاثة امور .

الاول : هل يكون هناك لغة اجنبية تدرس بطريقة اجبارية مع اللغة العربية ؟

الثاني : اذا تقرر ذلك فأية لغة نختار ؟

الثالث : في اية سنة من سنوات الدراسة يبتدىء درس هذه اللغة ؟ وقبل الخوض في هذا البحث يجب ان نوجه الانظار الى بعض حقائق تدخل في صلب الموضوع .

اولاً : لا غنى لنا نحن اللبنانيين عن درس لغة اجنبية واحدة على الاقل لاسباب عدة . اهمها ان موكزنا كقطر عربي على ابواب الشرق يجعلنا صلة الاتصال بين الشرق والغرب ، فلا غنى لنا اذن عن معرفة لغتيهما معرفة تامة . وان اللغة العربية لا تتيح لنا في الوقت الحاضر التعمق في العلوم العالية كالفلسفة والرياضيات والكمياء والطبيعيات ، ولا درس العلوم الخاصة كالطب والهندسة والزراعة والصناعة وما اشبه .

لقد ابتدأت مدرسة القصر العيني في مصر والجامعة الاميركية في بيروت بتدريس الطب باللغة العربية . ولكن كلتيهما اضطرتا بعد مرور بضع سنوات الى العدول عن ذلك والشروع بتدريس الطب باللغة الانكليزية . ذلك ليس لفقدان الاساتذة والكتب والمؤلفات والمجلات والنشرات الطبية في اللغة العربية فحسب بل لتعذر وجود حتى الاسماء والمصطلحات العلمية الطبية التي ليس لها حصر او عد . وهذه الحقيقة تصح على الطب كما تصح على سائر العلوم الفنية العالية . ونكرانها دليل على المكابرة او على الجهل لا اكثر ولا اقل . انا من الذين يكبرون عمل المعهد الطبي العربي في دمشق ويقدرون تماماً الاعمال الجبارة التي قام بها اساتذته الاعلام ولكن المعهد الطبي العربي المشار اليه لا يمكن له بصورة من الصور مجاراة المعاهد الطبية الاخرى ما دام يدرس الطب باللغة العربية ، خصوصاً اذا كان طلبته لا يحسنون لغة ثانية . واذا كان بعض اساتذته او بعض المتخرجين منه قد نبغوا وتفوقوا فذلك لانهم ، عدا عن ذكائهم الفطري واجتهادهم الشخصي ، يحسنون لغة اجنبية يستعينون بها .

انا لا اغمض عيني عن المستقبل بل اتطلع بلهفة وامل الى اليوم

الذي توحد فيه الاقطار العربية كمصر والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان جهودها العلمية وتحقق فكرة جامعة عربية « علمية » الى جنب جامعتها السياسية . لانه لا يمكن لقطر من هذه الاقطار ان يقوم باعباء هذا العمل الشاق منفرداً .

ومن الان حتى ذلك الحين — اي على اقل تعديل الى خمس وعشرين سنة — علينا ان ننتظر وان نستعين بلغة اجنبية او بعدة لغات اما عن موعد الشروع بدرس هذه اللغة فكل من تعاطى التعليم ليعلم تمام العلم ان اللغات لا تدرس بسهولة عن كبر . بل هي تلتقط التقاطاً سريعاً وسهلاً في الصغر . فاذا تركنا بداية تعليمها الى ابعد نوال الشهادة الابتدائية ، اي الى نحو السنة الثالثة عشرة من العمر اصبح تعلمها صعباً شاقاً .

وبصرف النظر عن هذا الرأي ، لانه يحتمل الاخذ والرد ، فهل تأمن اذا الغينا تعليم اللغات الاجنبية في المدارس الابتدائية وتركناها للمدرسة الثانوية ، هل تأمن عندئذ الا تنصرف جمهرة من التلامذة الى المدارس التي تعلم اللغات الاجنبية فتخسرهم المدارس الحكومية وبالتالي يخسرهم التعليم الرسمي في لبنان .

فاذا سلمنا ان لا بد لنا من درس لغة اجنبية ولا بد لنا ايضاً من الابتداء بدرس هذه اللغة في سنوات الحداثة ، فاية لغة نختار كلغة اجنبية اجبارية مع اللغة العربية ؟

ان في لبنان مدارس اجنبية افرنسية واميركية وانكليزية وكان فيه قبل اليوم ايضاً مدارس المانية وروسية وايطالية وهذه المدارس تعلم بالطبع لغاتها وليس بالامكان ولا من النافع ايضاً اقفالها . فكل ما نستطيع عمله معها هو ان نجعلها تدرس ايضاً بطريقة جدية لغة البلاد وتاريخها وجغرافيتها ، وان نجعل جوها وطنياً صرفاً ينمي في طلابها حب الوطن والحرية والاستقلال ويوحي لهم خدمة بلادهم واعلاء شأنها والاعتزاز بها . اما المدارس الوطنية الخاصة فحكمها في ذلك حكم المدارس الاجنبية اذ لا يمكن لقانون ان يمنع انساناً من تعلم او تعليم لغة من اللغات . فهي تختار اللغة التي تريدها بعد العربية على مسؤوليتها الخاصة .

بقيت المدارس الرسمية الحكومية واللغة الاجنبية التي يجب تعليمها فيها . لقد كانت اللغة الافرنسية حتى الآن هي اللغة المختارة لذلك ترى نصف اهل البلاد يحسنونها وقد نبغ فيها كثير من اللبنانيين من كتاب وشعراء وصحافيين وعلماء فتركها واهمالها الان يحدث ولا شك ضجة وفوضى في كثير من الاوساط .

ولكن اللغة الافرنسية، التي كانت فيما مضى لغة عالمية، فقدت مكانتها الدولية بعد الحرب الاخيرة واحتلت مكانها اللغة الانكليزية — واللغات من وراء الدول . فالمستقبل السياسي والعلمي والتجاري هو للغة الانكليزية، طالما اميركا وانكلترا تتزعمان العالم وتسودان فيه . ولا نستطيع نحن اللبنانيين الا ان نجاري هذه الحركة العالمية لنحافظ على مركزنا الثقافي . فدرس اللغة الانكليزية لم يعد اليوم، كما كان بالامس ، من « الكماليات » بل اصبح شرطاً اساسياً لكل تقدم علمي وسياسي وتجاري .

فامام هذه المناقضات ، ارى ان يفسح المجال لدرس اللغتين ، فيختار الطالب اللبناني ايهما اراد ، او يختار الاثنين معاً .

ان الامر اليوم ليس بالامر العلمي الصرف بل هو « توجيه » وطني سياسي له اهميته وله مغزاه الذي لا ينكره احد .

لقد درست الوزارة هذا الامر ثم نفضت يديها منه وتخلصت من مسؤوليته باحالته الى لجان من المعلمين ورؤساء المدارس . فاختلفوا هم ايضاً فيه وانقسموا على غير لقاء .

فمن يستطيع اذن ان يقرره ويجزم فيه ؟

لا وزير التربية ولا رؤساء المدارس ولا الكتاب والادباء لهم صلاحية الحكم . ان الامة اللبنانية هي التي تختار طريقها وهي التي تقرر وتفصل وتحكم . والامة تفعل ذلك بواسطة مجلسها النيابي . فنواب الامة وحدهم يملكون هذا الحق .

فلماذا لا تحيل وزارة التربية اليهم هذا الامر ؟

ان الامة العربية وقد وثبت وثبتها الثانية في طريق البعث والحياة مستندة الى ماضيها اللامع والى وعيها القومي الجديد لا تبحث مشاكلها الكثيرة من سياسية واقتصادية وعلمية الا على ضوء الحقيقة والعلم والمنطق لانها بذلك تأمن الزلل وتصل الى هدفها القويم .

قال لي صديق وقد قرأ هذا المقال :

لمن تكتب ؟ اتظن ان اولي الامر في لبنان يقرأون هذه الصفحات؟ واذا قرأوها هل هي الاراء الصائبة والنتائج المنطقية التي تسيرهم ام العوامل السياسية الخارجية والدوافع الداخلية والبلدية — ادارية ومذهبية ؟ قلت انا لا اقول هذا لهم بل اقوله للامة .

قال وماذا تقدر ان تفعل الامة ؟

عندئذ تذكرت معاوية ، داهية الخلفاء ، على عرشه في دمشق ، ومن حوله الجند والاعوان ، يأمر وينهي ، ويفصل ويحكم ، ثم يستدعي ولده ويقول له :

يا بني ! ان الامة التي تقدر ان تقول تقدر ان تفعل . فاحذر ان لا تقول — تأمن ان لا تفعل !

رئيف ابي اللمع

سر الامل والشجاعة

بقلم جيمس مورسل
كلية المعلمين ، جامعة كولومبيا

هل سبق لك ان خفت من الفشل في الحصول على الرزق ، او من ضياع وظيفتك ، او من عجزك عن اعالة من يعتمد عليك ؟ وهل كان خوفك من اختلال علاقاتك العائلية ، او من المرض او الشيخوخة او الموت ، او من اشياء اخرى لا استطيع لها حصراً ، سبباً في قلقك وهمك وعدم راحتك ؟

الحق ان كل فرد منا تقريباً لا بد ان تنتابه هذه المخاوف ، كما ان عدداً كبيراً منا يتأثرون بها تأثراً يتفاوت شدة وقوة . فنحن نستيقظ في الليل لنطيل فيها التفكير ، وهي في النهار تعترض سبيل عملنا ولعبنا . انها كالعفاريت التي تهدد سعادتنا ، وتضعف من قوتنا على انجاز الاشياء ، وتقلل من نفعنا لانفسنا وللآخرين . والخوف واسع الانتشار شائع بين الناس ، حتى ان الشخص الذي ينير الامل جوانب حياته ، ويتحلى بالشجاعة والقدرة على مواجهة الخطوب والنوازل ، قد اصبح في ايامنا هذه خارقاً للعادة . هذه الحال لا يجب ان تدوم . فهذا القلق الذي يعمل على اضعاف الاعصاب وارهاقها ، والذي يقف حاجزاً بين كثير من الناس وبين السعادة ، يمكن تفاديه والتغلب عليه . وليس هو بالداء الذي لا يمكن شفاؤه ، كما انه لا يشبه الطقس الردىء الذي لا حيلة لك فيه . فالتغلب عليه ممكن اذا عرفت الطريق اليه ، ودواؤه واضح في كثير من الابحاث النفسية التي تتعلق بأساس الانفعال الانساني وطبيعته ، والتي تساعدنا على تفهم مشاعرنا ، وترينا ايضاً الطريق الى السيطرة عليها وضبطها .

لقد قلت في عنوان هذا المقال عن وصفي لاستعادة الامل والشجاعة انه « سر » وانا متأكد من انه يجوز اطلاق هذا الوصف عليها ، ذلك بأن قليلين من الناس يدركونها او قد وقفوا عليها من قبل . ولكن هذا السر ، من ناحية اخرى ، سر مفتوح ؛ ومع انه قد كشف في عدد كبير من الابحاث العلمية ، بلغة فنية ، فان من الممكن شرحه هنا بكلمات هي اقرب ما تكون من البساطة .

وقبل ان اكشف لك عن هذا السر ، يخيل اليّ ان عليّ ان اذكر لك نقطة واحدة . فالدواء الذي اصفه لك ليس من صنع المشعوذين ولا الدجالين ، وليست له اية علاقة بالسحر وفنونه . وانا اعتقد ، بل ارجح ، ان كثيرين من القراء لم يخطر لهم هذا ببال منذ عرفوا ان البحث بحث نفساني ، ولكن التحفظ على كل حال اجمل واجدر .

فليس هناك ، مثلا ، اي عالم نفساني مسؤول ينصحك ، للتخلص من متاعبك وهمومك وكروبك ، بأن تشيح بوجهك عنها وان تتهرب منهـا ، والحق انه سيحذرك من اي فرد يقوم بهذا الايحاء اليك . ولربما تدبرت امرك لتنساها ، حيناً من الزمن ، ولكنها ، من غير شك ، ستعود في المستقبل القريب ، لتعمل عملها فيك وهي اشد قوة ومضاء . ان العلاج الوحيد الجديد بأن ينال من اهتمامك هو ذلك العلاج الذي يأخذ بعين الاعتبار ان المصائب والمصاعب هي من الحقيقة على جانب كبير ، وانها مخيفة جداً ، ويريك كيف تبلغ املك ، وتحتفظ بشجاعتك بالرغم منها . وليس هناك كذلك اي عالم نفساني مسؤول ينصحك بأن تعتمد على التنويم الذاتي . ولن ينصحك ايضاً بأن تستمر في ان تقول لنفسك : « كن شجاعاً ، باسلاً ، ولا تقطع الامل ، فكل شيء سيكون على ما تشتهي في النهاية ! »

اي خير يجنيه من نصائح كهذه رجل خسر عمله وهو في الخمسين من عمره ، او امرأة مصابة بسرطان لا يمكن شفاؤهـا منه ، او ام فقدت وحيدها ؟ ان هذه حالات من الطوارىء القاسية التي تعترض حياتنا يومياً ، فاذا لم يكن علاج الخوف والقلق قوياً الى درجة تعيننا على اجتيازها ، فليس جديراً بأن يسمى علاجاً . ان نصحك اناساً كهؤلاء ، الا يخافوا ولا يقلقوا ، وان يحتفظوا بعالي معنوياتهم ، وان يتركوا الامر على هذه الصورة ، لهو هزء ظالم وسخرية باطلة . المشكلة ابعد من هذا كله هي في ان يتجنبوا الخوف والقلق ، وان يحققوا آمالهم ويتحلوا بالشجاعة . والسعيد السعيد من عرف لهذه المشكلة الحل الناجع .

وانك لتجد فيما يلي هذا الحل الناجع . عليك متى وجدت نفسك في وضع حرج يزعجك ويؤذيك ، ان تتخذ لنفسك خطة لمواجهة هذا الوضع ، وان تتبع هذه الخطة بكل ما اوتيت من عزم

وارادة ، وان تلازمها دونما خوف ، وقد يخيل اليك انه حل بسيط ، والحق انه كذلك ! ولكنه يذهب عميقاً الى جذور الاشياء .

والنقطة التي عليك ان تتفهمها جيداً هي هذه : ان الخوف والعمل المرسوم عدوان ، وانهما يعملان باختلاف كلي .

ان الشخص الذي يستولي عليه الرعب هو في قبضة قوى هائلة ، تدور به وتخرجه عن طوره . انها قوى جسدية وكيماوية تتولد في جسمه ، فغدتك الدرقية والادرينالية تصبحان على جانب عظيم من النشاط غير الطبيعي ، وما تصبانه في دمه من المواد يؤثر في اعصابه وعضلاته . ويشتد ضربان قلبه ويزداد سرعة ، وتنشط رئتاه ، فيتصبب عرقاً ، ويقفز ما في دمه من السكر الى الجزء الاعلى ، فيكاد يتمزق ، ومع انه يبدو نشيطاً كل النشاط ، ولكن نشاطه لا يرمي الى هدف ، خال من التفكير والاحكام والقدرة على الانجاز .

والقلق على وظيفتك ، او مستقبلك ، او صحتك ، او غيرها من الامور قد لا يبلغ درجة الرعب الهائل . انه حالة وقتية لا مزمنة . ولكن نوعه هو نفسه لا يتغير . فهناك قوى خطرة تعمل عملها فيك وتميل ابداً الى ان تخل بسيطرتك الذاتية ، ولو انها قد لا تدفع بك الى حافة التهيج الشديد او الجنون . وان تستطيع ان تمحو هذه القوى بأن تنكر وجود الطوارئ والمصاعب ، ولا بأن تتجنب القلق والهم . ولكنك تستطيع ان تواجهها بأن ترسم لنفسك خطة بانية تعمل بها ، وبأن تنفذها بحذافيرها . هذا طريقك الى الخلاص ، وهذا هو سر الامل والشجاعة .

*

في عدة روايات من روايات جون بوشان تظهر شخصية اتضح بعدئذ من تاريخ حياته انه كان على صلة بها ، وانها لم تكن من بنات خياله . تلك كانت شخصية عجوز كشاف يدعى بيتر بيانار .

ولقد اسر الالمان بيتر في الحرب العالمية الاولى ، وحبسوه بعيداً عن الحدود ، في اشد ايام الشتاء برداً . ولقد حاول الهرب من معسكر الاعتقال ، ولكن امله في تحقيق حلمه كان ضعيفاً ، ثم نجح آخر الامر ، وكان يدرك ان وضعه خطر ، وانه لا بد من ان يقبض عليه ثانية . ولكنه بدلاً من ان يتعثر في تقدمه على غير هدى وبصيرة ، كان يتبع ، وهو في مأمن من العدو ، نظاماً خبره بعد اعوام طويلة من التشرد . فجلس وقال في نفسه : «سأضع لنفسي خطة . » ولعلها لم تكن خطة تبعث على الامل ، ولكنها كانت خطة على اي حال . ثم عمد الى تنفيذها بعزم وصبر ودقة . لقد كان عمله حكيماً تعلمه من الكشفية ، ولقد افاده اتباع هذه القاعدة في كثير من الاحوال واخرجه من كثير من المآزق . ليكن لك خطة تسير عليها ، فذلك افضل من ان تضرب على غير هدى . استعمل عقلك ، ووجه طاقاتك جميعاً ، ولا تدع المشكلة تتملك زمامك ، بل املك زمامها . ان هذا هو سر الامل والشجاعة .

والاميرال بيارد ، في كتابه النفيس « وحيد » ، ينطق بالكلمات نفسها . ولعلك تذكر انه صمم على ان يخيم وحيداً على بعد مئة وخمسين ميلاً جنوبي اميركا الصغرى ، على جليد « البارير » طوال تلك الليالي المخيفة في القطب الجنوبي .

ولقد كان من عادته ، بعد ان ينقضي النهار ويخيم الظلام ، ان يتمشى ، قصد التمرين ، في وقت معين ، كلما كان الطقس جميلاً مؤاتياً . ففي ليلة من الليالي ، بينما كان يتمشى كعادته ، حدث له حادث مخيف . فقد كان يتجول في ذلك الهدوء الرهيب ، تلفه الافكار ، عندما خطر له فجأة انه قد ضل عن مخيمه . « فالبارير » عبارة عن ارض فسيحة الارجاء ، مترامية الاطراف تغطيها الثلوج جميعاً ، والارض صلبة قاسية حتى ان قدميه لم تتركا بعدهما اثراً . ومخيمه نفسه كان ذا لون ابيض ، لا يمكن تمييزه ابداً . ولقد ادرك ان عدم قدرته على الاهتداء إليه كان يعني موتاً محتوماً لا مفر منه .

ويخبرنا الاميرال انه بقي لحظة لا يستطيع ان يتنفس من الرعب والهلع . ومع ذلك فلو انه استسلم لهذا الرعب لكان الآن في عداد الاموات ، ولو انه لم يملك زمام نفسه لتاه في ذلك الخضم العريض ، دون هدف او غاية ، الى ان تهب زوبعة تقتلعه وكأنه ريشة ، او يرتمي بعد ان تخور قواه . ولكنه لجأ الى خطة !

لقد جمع قليلاً من الثلج على شكل كومة ، واستعان بالنجوم على معرفة الاتجاه من تلك الكومة ، ثم تقدم مسافة قصيرة جمع عندها كومة اخرى . وهكذا تمكن من ان يرود البقعة التي كان فيها شيئاً فشيئاً ، متطلعاً وراءه وامامه ، واثقاً من قدرته على ان يعود الى نقطة الشروع . واخيراً ، بعد وقت طويل ، وجد طريقه الى مخيمه . قد يخيل اليك ان خطته كانت بطيئة غير مأمونة النتيجة ، ولكنه لم يكن يعتقد انها كذلك ، وهي خطة على كل حال . وحتى في حالة فشلها ، فان ساعاته الاخيرة تكون موسومة بطابع الامل والشجاعة ، لا بطابع الهلع واليأس .

والسبب في ان عدداً من الجنود يبدون من الشجاعة ، في خطوط النار ، اكثر من غيرهم من المدنيين لا يعود الى انهم بطبيعتهم اكثر شجاعة واصلب عوداً ، بل يعود الى انهم يتبعون النظام ولا يحيدون عنه . ولقد مضت عليهم شهور عديدة يتعلمون ما يجب عليهم ان يفعلوا ، وكيف يتعاونون بعضهم مع بعض ، وكيف يطيعون الاوامر ، ومتى يبدأون الهجوم ، وكيف يتقدمون ويتقهقرون ويحمون انفسهم . وهكذا فانهم لا يضطربون ساعة الخطر ، ولا يقعون ضحايا انفعالاتهم . قد يكونون في الحق خائفين متأثرين ، ولكن الخوف لا يطغى عليهم ابداً . ان لهم خطة ينفذونها ، وطريقة خاصة يواجهون بها الوضع الذي هم فيه ، وهذا هو سر الشجاعة عندهم .

وليس من شك في ان العمل بمقتضى خطة حكيمة تساعدك مساعدة فعالة في التغلب على المصاعب التي تعترض سبيلك . وعندما كانت ابنتي طفلة صغيرة كانت تدخل غرفتها ، وتغلق الباب على نفسها . وكان من المستحيل فتح الباب من الخارج ، وهكذا لم يكن باستطاعتنا ، انا وامها ، ان نفرج عنها ، فيستولي عليها الرعب والهلع ، وكانت المشكلة التي تواجهنا هي ان نهتدي من روعها لتتمكن من ان تعي تعليماتنا ، وتفتح الباب بنفسها من الداخل .

فواضح ، اذن ، ان افضل ما تستطيع ان تفعل ، اذا ما وجدت نفسك في مأزق ، هو ان تفكر في حل يخرجك منه . فاذا كنت خائفاً من ان تفقد عملك ، فهيء نفسك لعمل آخر ، واذا كانت صحتك في خطر ، فاسعَ بحكمة وتعقل في سبيل علاج يشفيك ، واذا كانت صلاتك العائلية في طريق الفوضى والاختلال ، فاستعمل عقلك في إيجاد خطة بانية تسير عليها ، لتتفادى هذا الاختلال .

وكثيراً ما ينجز الناس اموراً عظمى ، ويجتازون محناً كبرى تحت هذه الانواع من الاستفزازات . فكم من امة تهددها الخراب وكانت على قاب قوسين او ادنى من الهزيمة في الحرب فرفضت ان تستسلم الى ما كاد يصيبها من الخطوب والنوازل ، وافادت من القوى التي ولدتها في نفسها لانفعالاتها في تنفيذ خطة بانية ، وسواء فشلت في هذا او نجحت ، فانها لا شك بالغة منتهى الامل وقمة الشجاعة .

ولكن النقطة المهمة هي هذه : هناك مصاعب لا يمكن تذليلها ، ومخاوف لا يمكن التغلب عليها ، ونحن لا يمكن مواجهتها بطريقة مباشرة . لا بأس عليك ! العلاج واحد ، هو ان تعمل حسب خطة معقولة .

*

يخبرنا الروائي بانسون انه اتى عليه حين من الوقت الفى نفسه فيه مصاباً بمرض عصبي مؤلم غير قابل للشفاء ، وانه كان قبل هذا رياضياً نشيطاً يجد لذة كبرى في الرياضة في الهواء الطلق . وكانت نتيجة هذا المرض ان تلاشت هذه الرغبة في التمرين . ولكنه مع ذلك يقول انه اكتشف ان السعادة لا تتوقف على الظروف والاحوال ، ولكن على مواجهة ما عليك مواجهته بعزم وتصميم ، وعلى تكييف حياتك بحيث تتلاءم معه ملاءمة تامة .

وقالت امرأة تدعى دوروثيا ديكس لصديق لها قبل ان ماتت اثر مرض استمرت تقاومه عدة اشهر : « اعتقد انني استطيع ان افعل شيئاً ولو كنت طريحة الفراش ! » في هذه الكلمات خلاصة الشجاعة : لا ازال استطيع ان افعل شيئاً !

وعندما سئل الكاهن العظيم روبرت هول ماذا يفعل بقية نهاره اذا تأكد من انه سيموت عند منتصف الليل قال : « استمر في تنفيذ خططي الموضوعة . فأتصل بعد الظهر بمن لي عادة الاتصال بهم يومياً ، واعود في المساء لاتناول طعام العشاء في الموعد المعتاد . وبعد هذا اقصد الى الكنيسة حيث اخطب في النّاس ، ثم اعقد اجتماعاً مع سائر رجال الدين فيها ، وبعدئذ اعود الى البيت ، فاقرأ ساعة كما افعل كل يوم ، واحيي زوجتي تحية المساء ، ثم اسلم نفسي لخالقي ، واذهب الى فراشي بهدوء تام . »

*

انك تواجه في كل يوم مشاكل ومصاعب تبعث على اليأس والقنوط . ولكن عليك ان تعتصم بالشجاعة والامل . ان علم النفس علم واضح ، ويجب ان يفهمه الجميع . فاقرأه وافد منه ، فهو يساعدك على حل مشاكلك بطرق سهلة يسيرة .

كلنا عرضة لان نواجه ظروفاً لا نستطيع لها تعديلاً ، ومخاوف لا نقدر على التغلب عليها . وليس في مقدور علم النفس ولا اي شيء آخر ان يجعلنا نفعل المستحيل . والدرس الحقيقي الذي نحن بحاجة الى ان نتعلمه هو ان نواجه هذه الظروف والمخاوف دون ان نفقد الشجاعة والجرأة والامل . « لا ازال استطيع ان افعل شيئاً » . هذا هو الجواب ، واحسب ان في مكنة كل منا ان يجيب به .

(عن الانكليزية)

عودة

الى « العائد » شاعر الجيل

خليل مطران

☆

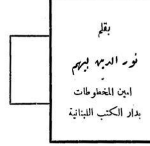
لصلاح الاسير

عدتَ وافترت الذرى اي طير عاد للوكر بعد طول الغياب ؟ ..
واحد الزقزقات في مسمع الخلد بعيد الارنان ، رحب الطلاب
فيه من عبقر الاساطير تهوي طي دنيا على اكف السحاب
عاد ... فالافق زرقة وابتهال ، عودة الغيث للموات اليباب
فالروابي في شدوه رافلات وعلى السفح بعض زهو الروابي ..
واراها الوديان تحتضن الرجع حنيناً من طيرها الجوّاب
قرّبت غورها اليه فلان الفخر واستروح الهوى والتصابي
وهفت قمة تقول : غناء اليوم يا اخت مرجع لشبابي
سمّر اللحن فيّ ... ما للنجوم الزرق تلهو على حواشي ترابي ؟
قبل ملت اذني هراء العصافير فاوصدت دونها ابوابي
واراني اهيم .. جبهتي السمراء مهوى السنا ومرمى الشهاب
صوته لم يزل بقلبي صداه منذ القى صلاته في هضابي
مال فيه الشربين ، والاخضر الصفصاف، في هدلة الغصون الرطاب
اي طير تراه ... جنحه الحلم شراعاً من القوافي العراب ...
يا مراح الاضواء في الجبل الحران. رفقاً بزورة و إياب ! ..
بالشذى عاد .. لم يكحل سوى المشرق بالطيب والحداء السابي
ناثر في هواك خضر الاماني باعث في ثراك عهد الخصاب
مستهام يرود كل جمال بين خضر الربى وحمر القباب
فاستمع للغناء ... وحيك فيه وعذاراك وانتفاض الشباب
فالغناء المدل ذوب عروق نسجت للخيال برد السراب
فوق مرمى الظنون قرب مراقي السر دون المنى وعبر العذاب
من لم يرسل اللآلئ شعراً حاملاً سحره الى الاحقاب
تستحم العذراء في بثه الحلو على حيرتي جوىً وارتقاب
همها ان تظل شدواً على الدهر بشعر سلسل الانساب
حبكته انامل من اريج فهو في رفرف من الاطياب

*

عدت ... مد الجناح في ارض لبنان على الماء والملى والشراب! .
هما يومان .. يوم كدح تولى في عراك مع الزمان المرابي
فامنح الارز يوم صفو .. يرد الجيل ان تستظل بالاعناب ...
حملت رأسك الكرامة تاجاً والمعالي قد اسرجت في الركاب

من فنون الاقـــدمين


بقلم
نور الدين بيهم
امين المخطوطات
بدار الكتب اللبنانية

تسمية الشوارع باسماء الاشخاص

لم يفت الاقدمين مظاهر المدنية وكان لهم منها نصيب وافر. ومن مظاهر المدنية عندهم انهم كانوا يسمون الشوارع باسماء مشاهير رجالهم. وكتب التاريخ مشحونة بمثل هذه الاخبار التي يذكر فيها كيف تطلق اسماء العظماء على اسماء الشوارع.

جاء في تاريخ بغداد للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب المتوفى عام ٤٦٣ هـ . ما يلي :

« حدثني التنوخي قال : مات المرزباني[1] في ليلة الجمعة لليلتين خلتا من شوال سنة اربع وثمانين وثلثمائة وصلى عليه ابو بكر الخوارزمي الفقيه وحضرت الصلاة عليه ودفن في داره بشارع عمرو الرومي في الجانب الشرقي » من بغداد[2].

القباب او « اقواس النصر »

ابراهيم بن جعفر امير المؤمنين المتقي لله بن المقتدر بن المعتضد ولد سنة سبع وتسعين ومائتين واستخلف سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعد اخيه الراضي فوليها الى سنة ثلاث وثلاثين وكان حسن الجسم مشرباً بحمرة ابيض اشقر الشعر اشهل العينين وكان فيه دين وصلاح وكثرة صلاة وكان لا يشرب الخمر وتوفي في السجن سنة سبع وخمسين وثلثمائة وكانت مدته سنتين واحد عشر شهراً وكانت ايامه منغصة عليه لاضطراب الاتراك حتى انه اتى الى الرقة فلقيه الاخشيد صاحب مصر واهدى له تحفاً كثيرة وتوجع لما ناله من الاتراك ورغبه في ان يسير معه الى مصر فقال كيف اقيم في زاوية من الدنيا واترك العراق متوسطة الدنيا وسرتها ومستقر الخلافة وينبوعها ثم سار حتى قدم بغداد بعد ان خاطبه امير الاتراك توزون وحلف له ان لا يغدر به وزينت له بغداد زينة يضرب بها المثل وضربت له القباب العظيمة العجيبة في طريقه فلما وصل السندية على نهر عيسى قبض عليه توزون وسمل عينيه وبايع المستكفي من ساعته ودخل بغداد في تلك الزينة فكثر تعجب الناس من هذه التصرفات[3].

شرفات برسم الايجار لمشاهدة الحفلات !

ورد رسول لصاحب الروم في ايام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفروش الجميلة وزينت بالالات الجليلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على ابوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين ايديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد اظهروا العدد المكسية[4] والاسلحة المختلفة وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالبزة الرائعة والسيوف والمناطق المحلاة. واسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة وقد اكترى كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة[5].

القصور والدارات اسماء !

وكان الاقدمون يسمون قصورهم ودورهم كما هو جار اليوم في تسمية الدارات (فيلا) المنشأة حديثاً.

وفي كتب التاريخ كثيراً ما نرى في ذكر الحوادث والبلدان اسماء قصور الملوك والامراء والقضاة والقواد والوزراء وغيرهم من اعاظم البلاد واغنيائها ولذلك نقتصر على ذكر الشيء اليسير من هذه القصور : قصر الرمان من نواحي واسط، قصر السلام، قصر

(١) يريد المؤرخ محمد بن عمران بن عبدالله المرزباني .
(٢) تاريخ بغداد لابن الخطيب ج ٣ ص ١٣٦ مطبعة السعادة ١٣٤٩ .
(٣) فوات الوفيات ج ١ ص ٤ .
(٤) في الطبعة الباريسية العدد الكثيرة .
(٥) تاريخ بغداد لابن الخطيب ج ١ ص ١٠٠ مطبعة السعادة .

الشمع قصر « الاصوص »[٦] .

وكذلك سميت القصور باسماء اصحابها او نسبت اليهم كقصر ابن عوان وقصر الاحنف (بن قيس) وقصر ام حبيب (هي ام حبيب بنت الرشيد بن المهدي) وقصر اوس وقصر الجص وقصر رافع وغيره وغيره[٧] .

يرفعون القلانس .. لتعزية الخلفاء

... وكانت عادة الناس ان يبدؤا الخليفة بتعزيته في ابيه ثم يهنؤونه بجلوسه على تخت الخلافة[٨] فلما اخذوا في تعزية المهدي خلعوا قلانسهم ونبذوها وراء ظهورهم لان الخلفاء لا يعزون بالعمائم[٩] .

شرطة خاصة لنظام المرور

وكان للعرب شرطة حركة المرور لمنع الازدحام وتسهيل السبيل على المارة والمشاة . وكانوا يأخذون الحيطة في ايام المواسم والاعياد والحفلات لعدم الازدحام الذي يكثر بسببه وقوع حوادث وخيمة العاقبة خصوصاً على النساء والعجزة والاطفال ولهذا نرى ان البلدان الكبيرة كان لها جلاوزة سير يمنعون المارة من الازدحام « ومضايقة الطرقات »[١٠] .

شرطة الاخلاق

لما توسعت اهل بغداد في الحضارة الى حد الافراط وقع في شبانهم مرض من الانهاك في الشهوات والاسترسال في الملذات كالذي عهدنا وقوعه في الفرس والرومان واليونان عندما استفحل فيهم العمران وهؤلاء الشبان يعرفون بالمخنثين وهم زينة بغداد المترفة في حسن ازيائهم[١١] ورقة كلامهم وظرف معاشرتهم[١٢] وسرعة خواطرهم الى النكات الغريبة[١٣] وهم يبخرون ثيابهم ويتمسكون[١٤] ويلبسون الحلل مصقولة[١٥] واذا لم يكن بين ايديهم من المال ما يمكنهم من الثوب الذي يبلغ مائة دينار ثمناً[١٦] اكتروا ثياباً بالاجرة عن كل يوم درهم ودرهمان[١٧] . فيلبسونها اياماً ثم ينتقلون الى غيرها .

وربما كان في هؤلاء المخنثين قوم فسقة يطرقون المنازل بالليل ويسرحون العجائز[١٨] في طلب العفيفات من ربات الخدور فكانت الشرطة تأخذ منهم من تطولهم يدها ثم تضربهم الحدود بالسياط فيتجلدون تحتها ليقال فلان صبور[١٩] .

تنكر القواد في الحروب

هذه عادة جرى عليها قواد اليوم وهي عادة قديمة وليست بالمستحدثة وقد عرفها الاقدمون وهذا ما جاء في المستطرف :

وينبغي لقائد الجيش ان يخفي العلامة التي هو مشهور بها فان العدو قد يستعلم حليته والوان خيله ورايته ولايلازم خيمته ليلا ولا نهاراً وليبدل زيه ويغير خيمته كي لا يلتمس عدوه غرة منه . واذا سكن الحرب فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه ربح العرب على جيوش افريقية عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو يمشي خارج عسكره يتميز عساكر العرب فجاء الخبر الى عبدالله بن ابي السرح وهو نائم في قبته فخرج في من وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل المقدم وكان الفتح[٢٠] .

... وحادثة ثانية من ذلك ان الب ارسلان كان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه فجمع رجاله وقال لهم لا يتخلف احد منكم ان يفعل كفعلي ويتبع اثري ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث أضرب بسيفي وارمي بسهمي ثم حمل برجاله حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا وتشتت شملهم فقبضوا على الملك واتوا به اسيراً الى الب ارسلان[٢١] .

---

(٦) قال صاحب الفتوح سمي كذلك لان سرقت فيه لبعض الجنود امتعة .

(٧) معجم البلدان لياقوت الحموي مجلد ٧ ص ١٠١ – ١٠٢ – ١٠٣ ونفح الطيب ج ١ ص ٢٧٠ .

(٨) حضارة الاسلام ص ٨٠ . (٩) الاغاني ج ٩ ص ٩٧ .

(١٠) المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٣٤٢ .طبعة النيل ١٣٢٤ .

(١١) الاغاني ج ٤ ص ٥٩ .

(١٢) الاغاني ج ٣ ص ١٢٨ . (١٣) الاغاني ج ٣ ص ١٢٨ .

(١٤) الاغاني ج ٧ ص ١٥٤ . (١٥) الاغاني ج ٤ ص ٣٩ .

(١٦) المستطرف ج ٢ ص ٣٥ .

(١٧) الاغاني ج ١٧ ص ٣٦ .

(١٨) الاغاني ج ٥ ص ١١٩

(١٩) المستطرف ج ١ ص ١٠ عن حضارة الاسلام .

(٢٠) المستطرف ج ١ ص ٢٥٨ .

(٢١) المستطرف للابشيهي ج ١ ص ٢٥٩ .

هدم البنايات ودفع اثمانها

امر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد محمد بن عبد الله وهدم بيوت ازواجه وادخالها في المسجد فذكر محمد بن عمران بن جعفر بن وردان البناء قال : رأيت الرسول الذي بعثه الرسول بن عبد الملك قدم في شهر ربيع الاول سنة ٨٨ قدم متجراً فقال الناس ، ما قدم به الرسول فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بادخال حجر ازواج محمد بن عبد الله في مسجده وان يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له قدم القبلة ان قدرت وانت تقدر لمكان اخوالك فانهم لا يخالفونك فمن ابى منهم فمر اهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ثم اهدم عليهم وادفع اليهم الاثمان فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان فاقرأهم كتاب الوليد وهم عنده فاجاب القوم الى الثمن فاعطاهم اياه واخذ في هدم البيوت[٢٢] .

هدم الدور لحصر الحريق

في سنة ٧٥١ هـ احترق خط البندقانيين وكان قديماً احد اصطبلات الخلفاء الفاطميين والناس في صلاة الجمعة فما قضى الناس الصلاة الا وقد عظم امر الحريق فركب اليه والي القاهرة والنيران قد ارتفع لهبها واتفق هبوب رياح عاصفة فحملت شرر النار الى امد بعيد فركب الوزير منجك بمماليك الامراء وجمعت السقاؤون لاخماد النار فعجزوا عن اطفائها واشتد الامر فركب الامير شيخو والامراء وترجلوا عن خيولهم ومنعوا النهابة من التعرض الى نهب البيوت التي احترقت وعم الحريق دكاكين البندقانيين ودكاكين « الرسامين » والفندق المجاور وغيره ولم يبق احد في ذلك الخط حتى حول متاعه خوفاً من الحريق فكان اهل البيت بينما هم في نقل ثيابهم واذا بالنار قد احاطت بهم فيتركون ما في الدار وينجون بانفسهم والامر يعظم والهدم واقع في الدور المجاورة لاماكن الحريق خشية من تعلق النار بها والامتداد اليها[٢٣] .

اهل دمشق ينقطعون متبتلين في لبنان

وبما اننا تكلمنا عن زهو بغداد فلا بد لنا ان نتكلم عن لهو اهل دمشق . قال الابشيهي[٢٤] « وقد وجدت اهل دمشق

---

(٢٢) تاريخ الامم والملوك للطبري ج ٨ ص ٦٥ .
(٢٣) خطط المقريزي ج ٣ ص ٤٩ و ٥٠
(٢٤) عن حضارة الاسلام ص ٢٧٧

احسن الناس خلقاً وخلقاً يكرمون الفقراء ويلتمسون منهم ان يتقبلوا صدقتهم حتى يكونوا هم في صورة السائل »[٢٥] ولو ان فقيراً اعرض عن كسرتهم اقالوا ويحنا لو علم ان فينا خيراً لتناول من طعامنا[٢٦] وقد بلغني عن فضلائهم انهم يزهدون في الدنيا وينقطعون الى الله تعالى متبتلين في جبل لبنان[٢٧] غير اني لا اطلق هذه الرواية الا على فئة قليلة من الصالحين لان جمهورهم مائل الى اللهو والطرب ولاسيما في يوم السبت[٢٨] فانهم لا يشتغلون فيه الا بالمجون لا يبقى فيه للسيد حجر على المملوك ولا للوالد على الولد[٢٩] .

اقفال المدارس في دمشق في موسم المشمش

وقد اشتهر الدماشقة بفرط اعجابهم بالمشمش وشهوتهم له . وكان القضاة وشيوخ العلم عندهم قديماً اكثرهم حباً له وتلذذاً به حتى كانوا ينقطعون من اجله عن حضور المجالس والمدارس .

واول من احضر بينهم بطالة الدروس في ايام موسم المشمش القاضي نجم الدين بن سني الدولة بعد ان ولاه الملك الظاهر بيبرس قضاء دمشق .

وفي البداية والنهاية لابن كثير ، رواية الطبري ، « انه كان له بستان بارض السهم وكان يشق عليه مفارقة المشمش والنزول الى المدارس . فبطل الناس هذه الايام واتبعوه في ذلك . والنفوس انما تؤثر الراحة والبطالة ولاسيما اصحاب البساتين في ايام الفواكه ولا سيما القضاة[٣٠] واستقرت هذه العادة في دمشق .

وفي سنة ٧٨٦ هـ . كان قاضي القضاة بدمشق برهان الدين ابن جماعة فمشى على سنن من قبله في اللهو بالمشمش والتعطيل في زمانه .

قال ابن قاضي شبهة : وفي سادس جمادى الاول شرع في حضور الدروس بعد البطالة للمشمش نحواً من خمسين يوماً[٣١] .

نور الدين بيهم

---

(٢٥) الابشيهي ج ١ ص ١٢ .
(٢٦) ابن جبير ص ٢٨٨ .
(٢٧) ابن جبير ص ٢٨٩ .
(٢٨) القزويني ص ١٢٨ .
(٢٩) ابن بطوطة ج ٢ ص ١٩٧ .
(٣٠) مخطوطة خزانة باريس رقم ١٥١٦ ص ٨٨ ذكرها المشرق مجلد ٣٥ ص ٣٦٨ .
(٣١) الذيل خزانة باريس رقم ١٥٩٩ ص ٣ المشرق ذاته .

بالمـــداد الاحمر !

بقلم عبدالله المشنوق

كنا في الدائرة الاستعدادية ، وكان يدرسنا الانشاء باللغة الانكليزية الاستاذ بيارد ضودج (الدكتور ضودج رئيس جامعة بيروت الاميركية اليوم)

وكان حفظه الله مثال المعلم الامين يصحح موضوعات الانشاء بعناية فائقة وبشدة لا هوادة فيها فيستعمل المداد الاحمر بسخاء ويشطب احياناً اسطراً بكاملها ويكلف نفسه عناء كتابتها من جديد ، فلا يدع هفوة تفوته الا يشير اليها ثم يسجل في ذيل الموضوع ارشاداته بدقة ، فيتناول الفكر والديباجة ويناقشها بصبر واناة .

وكان يؤلمنا – ونحن نعيد النظر في موضوعاتنا بعد تصحيحها – ان نجدها خلواً من الدرجات فلا يعرف الطالب مدى نجاحه في مادة الانشاء وهي اساس الترفع في نهاية العام من صف الى آخر .

وعلى الرغم من طلبنا المتواصل ، والحافنا في السؤال عن الدرجات ، فقد كان استاذنا يعتصم بالصمت وتظل درجاتنا سراً مكتوماً . وذات يوم تجمهرنا عليه وبسطنا له غايتنا النبيلة من معرفة الدرجات الا وهي العمل على ملافاة النقص قبل فوات الاوان ، فخرج عن صمته وقال :

– تستطيعون ان تحكموا على درجاتكم من كمية المداد الاحمر الذي تشاهدونه في موضوعاتكم عقب تصحيحها . . .

هنا اسقط في يدي فقد كنت اسلمه الموضوع سليماً معافى – محجلاً كجواد عنترة قبل ان يشهد الوقيعة – فما تكاد تتناوله يد التصحيح حتى يعود الي مثخناً بجراح القلم مضرجاً بدماء الاخطاء .

وعبثاً حاولت انقاذ ما يمكن انقاذه فأخذت اتأنق في الكتابة وادرس الموضوع دراسة وافية واعيد قراءته واقرأه على مسمع من رفاقي طلاب الصفوف العليا ولكن الامور كانت تسير من سيء الى اسوأ وكمية المداد الاحمر تزداد باطراد يوماً بعد يوم . . فأيقنت اني راسب لامحالة .

ولم يبق امامي لكي اضمن نجاحي سوى الالتجاء الى احد امرين لا ثالث لهما : فإما ان استكتب رفاقي الذين يجيدون الانكليزية او ان اسرق بعض الموضوعات عن الكتب . . . وكلا الامرين واحد : سرقة قد يكتشفها الاستاذ وعندئذ يضاف الى عنصر التقصير عنصر الخيانة وهناك الطامة الكبرى ! .

لم اركب الاسنة كما يفعل المضطر ، ولكني ذهبت صباح يوم الى مكتبة الجامعة ونسخت – جدوى – عن دائرة المعارف البريطانية – فصلاعن حياة شكسبير ، وكان الموضوع « اكتب سيرة رجل عظيم » ، وقدمته الى الاستاذ وانا واثق هذه المرة بان يعيد الي الموضوع بكراً كما استلمه ، مع كلمة تنشيط في ذيله ! . .

ولكن خاب فألي وانتقلت مآسي شكسبير من المسرح الى الكراس المسكين الذي عاد الي يحمل دماء هملت ، ويوليوس قيصر وبروتوس ، وعطيل ، . وقد تضخمت بها صفحات الموضوع الخمس بشكل ترحمت فيه على الموضوعات السابقة . . .

ما العمل ? . الاميركيون يحبون الصدق والصراحة فلأكن صادقاً ولأكن صريحاً ولاعترف لاستاذي بالحقيقة كما هي . . .

توكلت على الله وانتحيت واستاذي بقعة من بقاع الجامعة البديعة وقلت له :

– كنت في المواضيع السابقة اعتمد على نفسي فكان نصيبي الفشل ، وهذا موضوع عن شكسبير نقلته بالحرف الواحد عن الموسوعة البريطانية ولم يكن اكثر نجاحاً من زملائه . . فلا لوم علي اذن اذا لم يكن اسلوبي خيراً من اسلوب اعظم موسوعة في الدنيا ! . . السلام عليكم ! ولم اشأ ان احرج استاذي فانصرفت بأدب قبل ان استمع الى الجواب ! . .

*

لا ادري اليوم ، اذا كان اسلوبي قد تحسن كثيراً ، ولكني واثق بأني مدين الى قلم استاذي الاحمر بكل كلمة صالحة كتبتها فقد توطدت الصداقة بيننا عقب هذا الحادث وكان لي نعم المرشد في تكوين ذائقة الادب فحبب الي شغفه بشارلز ديكنز مطالعة كنوز هذا الاديب العالمي الذي لا يستقيم لكاتب – مها تكن جنسيته – فن القصة ولا يستسيغ الوان الدعابة (Humour) ما لم ينهل من « حكاية المدينتين » و « اوليفر تويست » و « دافيد كبرفيلد » وسواها من روائع ديكنز الخالدة . فلتسمح « الاديب » لتلميذ ان يسطر لاستاذه على صفحاتها آيات الشكر وعرفان الجميل . . .

*

واذا كنت اثق بشيء ثقتي بهذه الحياة تدب في جسمي واطرافي فاني اثق بأن تواضع استاذي اذ يقرأ هذا المقال ولاسيما هذه النهاية – سيعود به عبر الماضي السعيد عشرين عاماً الى الوراء – معلم الانشاء يقرأ موضوعاً لتلميذه – فيتناول القلم ويشطب المقال بكامله بالمداد الاحمر ! .

اذا كنت لا تدري ، فاعرف !

*

كنت جالساً ، مؤخراً ، في ناد من نوادي نيويورك ، اصغي الى مناقشات علمية بين عدد من اصدقائي . وبطريقة ما ، تحول مجرى الجدل الى مسألة قطع النقود . فقال العالم الذي سأسميه هانسون : « ان قطع النقود الاميركية ، كما تعلمون ، مضروبة بنفس الطريقة التي تضرب بها قطع النقود الانكليزية . »

وقد كان على وشك الاستمرار في حديثه ليثبت قوله بالبرهان عندما انبرى العالم الثاني ، وسأدعوه روك ، قائلاً : « عفوك لحظة ان قطع النقود الاميركية لا تضرب بنفس الطريقة التي تضرب بها قطع النقود الانكليزية . فهي منقولة ، حبة حبة ، ووحدة وحدة ، عن الاسبانية . فعندما وعد (مجلس القارة) ان يدفع الديون التي استوجبتها الثورة ، قال انه سيدفعها دولارات اسبانية حجرية . وعندما صدر قانون النقود عام ١٧٩٢ نص على ان الوحدة يجب ان تكون دولاراً فضياً ، يشبه تماماً الدولار الاسباني الذي كان متداولاً في هذا البلد . والدولارات الاميركية الفضية ، التي قليلا ما ترى في نيويورك ، لا تزال مكدسة مع الدولار الاسباني القديم الالفي . وهكذا ترون ايها السادة ان نظامنا النقدي لا علاقة له بالنظام النقدي الانكليزي على الاطلاق . »

ولم يبدُ على هانسون اية علامة من علامات الارتباك او الحيرة او الهزيمة او الاقتناع . بل قال : « حسناً ، وما هو اصل كلمة « دولار » ؟

فأجاب روك : « ليس عندي ادنى فكرة عن هذا ، ولكن ما اقوله عن اصل الدولار صحيح . »

فقال هانسون : « انا لا اقر بهذا ابداً . ان كلمة « دولار » اصلها « ثلار » الهولاندية ، وهكذا فان الدولار قد نشأ في الحقيقة في هولاندا ، ثم عرفه الاميركيون عن طريق الانكليز .

ولقد كان روك موفقاً حقـاً . ذلك بأنه كان من هواة جمع النقود . فلم يلبث ان اخرج من جيبه دولاراً اسبانياً حجرياً ، صدر قبل صدور قطع النقد الاميركية بسنوات قليلة ، فعرضه على السامعين ، ثم قابله بدولار اميركي فضي .

ولكن هانسون لم يقر بخطئه . بل انتقل الى النظام النقدي الفرنسي ، وتحدث عن النظام العشري (غير المستعمل في انكلترا) ثم حوّل الحديث ، بموافقة روك اللبقة ، الى مجرى آخر ، دون ان يعترف انه كان على خطأ فاضح فيما يتعلق بقطع النقود .

والذي ادهشني وحيرني ان عالماً ذا خبرة والمام بمواضيع لاتقع تحت حصر ، ومن اعظم الثقات في تاريخ نشوء الطيران وتطوره ، يخجل من الاعتراف بأن هناك شيئاً لا يعرفه ، او لا يرغب في هذا الاعتراف .

ولقد تعلمت من اختباراتي وملاحظاتي ان الناس يحترمون الذي يعرف ما هو مختص فيه من المهن ، وانهم يحترمون ايضاً كل من اتسعت حقول معرفته دون ان يكون متخصصا في شيء . ولكنه ليس في اللغة جملة تعين المرء على القاء سلاحه دون ان يفقد اقل قدر من هذا الاحترام اكثر من « لا اعرف » والحق ان اكثر الناس استعمالاً لها هم الذين يعرفون اكثر من الجميع .

لقد كان اعظم جراح عرفته صديقـاً حميماً لي . وكان يحمل شهادات عليا من الجامعات الاميركية والاوروبية ، لا في الطب فحسب ، بل بالفنون والعلوم العامة ايضاً . وقد قضى مدة في التمرين في بلدة من بلدان اواسط اوروبا ، اكتسب إبانها خبرة ومهارة .

كنا راكبين في سيارته في ليلة قائظة ، لننتعش قليلا في الهواء الطلق . وكنا نبحث في عمله ، وفي الامراض المزمنة التي ليس لها علاجات معروفة . ومضت برهة ولم يجبني على الاسئلة التي كنت ألقيها عليه . ثم حاد بالسيارة الى جانب الطريق واوقفها . وفجأة ، وجدت انه كان يبكي . فسألته بلهفة : « ما بك ؟ »

فاجاب : « ابكي لانني على جانب عظيم من الجهل . انا افكر في مريضين زاراني اليوم وهما يعتقدان ان باستطاعتي شفاءهمـا . والحقيقة اني لا استطيع ، ومع ذلك فانا طبيب ، ولهما بي ثقة تامة لا اود ان اهدم صروح آمالهما ، ولكني ألوم نفسي ، لاني لا اعرف كيف اساعد هذين المسكينين ! »

*

لقد كان من عادة هذا الطبيب ان يقول لمرضـاه الذين كان باستطاعتهم ان يفهموا ، وعندما كان يجد في نفسه مبرراً لقوله هذا : « لا اعرف عن هذا الشيء قدراً كبيراً . سأقرأ عنه ، وكل مـا استطيع ان اقوله الآن هو ان عليكم ان تعمدوا الى الراحة ، وان تتجنبوا الاجهاد في العمل ، وبعد ان اتشاور مع الزملاء الذين يعرفون

شيئاً عن هذا المرض ، وبعد ان اقرأ كل ما استطيع عنه ، ادعوكم إلي .» ولكن كثيراً من الاطباء ، ومن سائر الناس، يعتقدون انهم يسعون الى حتفهم بظلفهم ، وانهم يهدمون شهرتهم بأيديهم، وانهم يلعنون من قبل الغير ، اذا اقروا بأن هناك شيئاً لا يعرفونه .

وأحد هؤلاء كان طبيباً ذا شهرة عريضة، دعوناه يوماً الى منزلنا عندما كان احد اطفالنا طريح الفراش . وبعد فحص قليل اخذ يعد له حقنة مصلية . قلت : هذا الطفل قد حقن مرة بمصل جواد، فهل تعتقد ان عليك ان تتأكد من انه لا يتأثر بهذا المصل ؟ »

وقد صدف بحكم مهنتي كمخبر صحفي ، انني وقفت على فاجعتين نشأتا عن اعطاء جرعة ثانية من مصل الجواد الى شخص سريع التأثر بها ، وقد كان احد الضحيتين ابناً لطبيب .

ولكن الطبيب الشهير لم يتنازل للاجابة على سؤالي ، بل استمر في اعداد الحقنة .

وبعد ثلاث ساعات خالف قوانين السرعة في عودته الينا . فقد كان الطفل يموت من جراء تأثير الحقنة ، ولو لم يحقنه بالادرينالين في عضل القلب رأساً ، لما انتشله من الهاوية ابداً .

اجل، وبعدها ارسل صاحبنا الطبيب يطلب اجره على الزيارتين! وقد كان اجراً عظيماً حقاً !

ولكن الطبيب اعترف لي ، بعد تلك المأساة ، بأنه لم يسمع قط بهذا النوع من التأثير . ولو انه اعترف بهذا قبل ان اعطي الحقنة ، لوفر علينا كثيراً من القلق والمال . غير انه لم يكن يملك الشجاعة الكافية على ان يقول : « لا اعرف » ، وقلة هذه الشجاعة قد كلفت بالحق ارواحاً لا تحصى ، وهدمت سعادات لا تعد .

زارنا بعد ظهر يوم شخصان يختلف احدهما عن الآخر اختلافاً كلياً . وصدف مجيئهما في وقت واحد ، ومكثا الى المساء . وقد كان احدهما محامياً ذائع الصيت عالمي الشهرة بتمكنه من مواضيع القذف والطعن ، ومواضيع التزوير . حتى انه ربح دعوى من اشهر دعاوي التزوير في التاريخ ، والتي عرضت على المحكمة العليا في الولايات المتحدة . اما الشخص الآخر فقد كان امرأة من كاليفورنيا كانت فيما مضى من ايامها مدرسة . وكانت ذا خلق رفيع ، ولكنها مع ذلك كانت تتوهم، لانها درست في مدرسة ذات غرفة واحدة ، انها كانت تعرف كل شيء !

وفي اثناء الحديث ، اتينا على ذكر دعوى من دعاوي التزوير التي كانت مقامة في ذلك الوقت . كانت تفاصيل هذه الدعوى تنشر تباعاً في الجرائد ، ولم اكن اسأل المحامي رأيه عندما قالت : « ماذا تظن بكذا وكذا ؟ »

فاجاب : « لا اعرف، علي ان اراجع الاحكام الصادرة فيه »

فقالت المدرسة : « اعرني سمعك لاخبرك ! »

ثم شرعت تشرح القانون بالتفصيل ، وختمت محاضرتها قائلة : « والآن ، الا ترى ؟ هذا هو القانون ! »

لقد كانت مخطئة في كل نقطة ، ولكنها لم تكن تملك من الذوق ما يجعلها تحذو حذو الثقة الشهير وتقول : « لا اعرف »

واحب في النهاية ان اكرر ما قلته سابقاً، وهو ان اكثر الناس معرفة هم اكثرهم استعمالاً لهذا التعبير : « لا اعرف ! »

عن (الانكليزية)

القيم الفكرية في خطـــر



بقلم مصطفى فروخ
استاذ الرسم بجامعة بيروت الاميركية

بابا ؟ — كيف يملك جارنا سيارة وتعج داره بالزوار ، وهو امي يأتيك لتقرأ له بعض الرسائل ؟

وقد اجبته على القسم الثاني من سؤاله تهرباً من خطر السيارة : اعلم يا بني ان جارنا امي لانه لم يذهب في صغره الى المدرسة .

ولكن جوابي هذا لم يقنعه ، فرد عليّ بسذاجة . حسناً ، ولكن انت ذهبت الى المدرسة ، وعندك كتب كثيرة ، ومع ذلك لا تملك سيارة مثله ، اذاً لماذا ترسلني الى المدرسة ، وتتعبني بالدرس والمطالعة ؟! .

وقد اسقط في يدي عندما بلغ في قوله هذا الحد . وزادني شعوراً بالخطر الذي اخذت طلائعه تهدد مجتمعنا وتجتاح ما تبقى فيه من القيم الفكرية والمبادىء المثالية التي لا غنى لمجتمع عنها ، مهما بلغ من الثروة ومظاهر المدنية الزائفة .

لقد اكدت لي هذه البادرة مع كثير من سابقاتها ، عن تغلب المادة على الروح وعلى المثل العليا في هذه الغمرة من الزمن .

ان ادراك هذا الوباء النازل بنا ، لا يتطلب كبير عناء ، فكل ملاحظ حصيف يقرأوه في نظرات اولئك الذين ساعدهم الظرف فحظوا بشيء من الثروة ، نظرات ملؤها الاستخفاف والتهكم بكل متعلم مثقف ، نظرات كأنها تقول : علم . ثقافة . شهادات ؟! . ماذا درت عليكم هذه من النعم ؟ انكم مفلسون ، تكادون لا تبلغون قوتكم الا بشق الانفس . ولو كان العلم والدرس يفيد لكنتم احسن حالاً منا ، فهي اذاً لا تنفع ولا تغني من شيء !

هذا ما يقرأوه كل مثقف عالم في وجوه اكثر اغنياء اليوم ، وكثير منهم يعلنها بلا خجل . وقد اخذت سموم هذا التفكير الخطر تفتك بالنفوس وتشل اتجاهها الادبي وتمتد الى الروح فتقتل نشاطها في كافة حياتنا الاجتماعية .

وتجاه هذا التيار ، بدأ الخوف يساور الآباء في مصير ابنائهم لاسيما والعلم في بلادنا ليس مجانياً ، بل يكلف الكثير من المال والوقت ، بينما الجهل مجاني يتلقنه المرء في الشارع وعند كل منعطف في هذا البلد الشاذ .

وبعد اليس يكفي المرء ان يدرب عضلاته ، ويمرن حنجرته على الصراخ ولسانه على بعض العبارات (المسجلة)

تدعمهـــا بعض الاساليب البلهوانية المعروفة ، ليصبح وطنياً محترماً ، مهـاب الجانب ، قوي النفوذ لدى هذا النـــائب وذاك الزعيم فتحقق رغباته ، وترتفع منزلته وينال كل اعجاب وتقدير ، وينعم بالعز والمال الوفير ؟! .

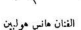
اجل هذا شيء رخيص ، سريع الفائدة حسن النتيجه يعطي اكله شهياً ، فلماذا اضاعة الوقت بالدرس وسهر الليل واجهاد الفكر وبذل المال لاجل الحصول على بعض النظريات الصوفية التي لا تسمن ولا تغني من جوع ؟

وقد يعجب قــاريء من تعرضي لهذا البحث المزعج . ولكني اود ان اصدق نفسي على الاقل . ان كل عاقل يحس بهذا الخطر يجتاح عالمنا العربي ويهدده بالانهيـــار . فليس بالمستطاع اغماض العين عنه والتغزل بالقمر والنسيم العليل والوجه الوسيم والكرسي الوثير والتلهي باحاديث السياسات الشخصية التافهة وبالخطب المخدرة لتبوء المناصب العالية والجلوس للموائد الشهية ، فهذا اجرام وخيانة .

لقد خلق القلم للاصلاح ، لذلك وجب عــلى حملته ان يجردوه في سبيل ما خلق له .

لقد شهدنا في هذه الحرب ، وآثارها لا تزال مــاثلة امامنا ، عن طباع الامم وعن قوة خلقها التي كان لها وللعلم وحدهـــا الاثر البعيد في نتــائج هذه الحرب وهذه الامة الانكليزية هي البرهان القاطع على ذلك .

ولعله من الخير ان نذكر شيئاً عن اثر الفن في بنــاء الخلق وفعله في تهـذيب الطباع وقيمته عند الامم التي تريـد حقيقة ان تبني وتشيد اذ ليس من الانصاف ان انهي بحثي دون ان اعرض صورة عنه لا سيما وفي هذا الحادث خير امثولة لعظمة الامم التي تقوم على عميق تفكيرها وتقديرها للقيم الفكرية والاسس التهذيبية التي عليها وحدها تبنى الممالك وتشاد الحضارات .



الفنان هانس هولبين

كان يعيش في بلاط هنري الثامن ملك انكلترة فنان عبقري يحتل اسمه في تاريخ الفكر والنهضة مكانــاً بارزاً واحتراماً عظيماً وكان يسمى « هانس هولبين » وللوحــاته اليوم في ديار الغرب ومتاحفه ، المنزلة العليا والمقام الاسمى ، ولا تقدر بثمن .

وقد اراد هذا الفنان ان يختلي بمرسمه ليفكر بموضوع يشغل نفسه فاوصى خادمه ان لا يسمح لاي كان بالدخول عليه . ولكن صدف ان احد اللوردات جاء لزيارة هولبين على حين غرة فبلغه الخادم رغبة سيده ، فما اعاره اللورد اهتماماً وظل صاعداً السلم ، فعارضه هولبين الذي جاء على صوت وقع اقدام الضيف ، راجياً منه الرجوع لانه غير مستعد لاستقباله هذا اليوم . وبالطبع فان هذا الرفض اغضب النبيل العظيم فشتم الفنان الذي دفعه من اعلى السلم فانكسرت يده وحمل نفسه رأساً لقصر الملك حيث سبقه هولبين وقص له الحادث ، وجاء اللورد يشكو امره وطالبا منه قطع رأس هولبين الذي تجرأ على مس احد الاشراف وهو من الرعاع ؟

غير ان الملك ابتسم للورد المغرور مبتسماً وقـــال : هون عليك لن بامكاني ان اصنع الان سبع لوردات من سبعة فلاحين . ولكن ليس باستطاعتي ان اصنع من سبعة لوردات فنانا واحداً .

وخير لي وللقاريء الكريم ان لا ازيد على هذا كلمة واحدة ففيه فصل الخطاب .

مصطفى فروخ

هنري الثامن ملك انكلترا



على هامش معجم الالفاظ العامية *

بقلم روكس بن زائد العزيزي
معلم العربية وآدابها في كلية تراسانتة بالقدس

★

[التاء والثاء]

عامة الارادنة يلفظون التاء والثاء كما يتلفظ بها الفصحاء من ابناء هذه اللغة العدنانية الشريفة . غير اني سمعت من يقلب الثاء فاء فيقول مفل بدلاً من مثل .

وفسر الاستاذ الجليل « تبهرج ، وتبهرج عليه – في صفحة ٢١ من عدد آذار سنة ١٩٤٤ من الاديب الشهيرة بقوله – تكبر عليه . واهل شرقي الاردن بدوهم وحضرهم يستعملون تبهرج بمعنى تزين تزيناً مفرطاً .

(ب) والبهرجة عند الارادنة تعني الزينة والترتيب الحسن .

(ج) وجنة البهرجان الروضة الغناء الساحرة الفيحاء .

قال الشاعر الكركي المشهور سليمان العاوي من قصيدة يمدح بها عشيرة العُزيزات الغسانية النصرانية المقيمة في مأدبا ، والكرك ، وفي ازرع ، وفي مرجعيون ، وفي راشيا ، وبيت جالا :

ابراهيم لوجه المسايير دعثور   تنور بوجهه جنة البهرجانا

اي ابراهيم عرضة للضيوف فكأنما هو عقبة من الكرم لا يمكن تخطيها . تشع من وجهه انوار الكرم الساحرة فتحول وجهه ساحر المنظر كأنما هو جنة بديعة المنظر حسنة الترتيب ! .

تتكي في مشيته – فصيحها (قاع يقوع) . يستعمل الارادنة في معناها « تخمع » في مشيته . اي طاف في سيره باحثاً عن جريمة خسيسة يرتكبها .

وثمع الخبز ثرده في الحليب ، والثميماء ، الخبز المثرود في الحليب ونحوه ، والثميما الجماعه الفنية التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها وهي من الاستعارة قال زعيم الشعر البدوي في الدساكر الاردنية المرحوم سالم القنصل من قصيدة يبرر فيها موقف اهالي مأدبا لاعلانهم الحرب على بني صخر وهو المعروف عند البدو بـ « ارداد النقا » والمعنى الحقيقي لقولهم ارداد النقاء – اي ارد عليك كل ما قلت ، مع اقراري بأن عرضك نقي من اي شائبة مها بالغت بالنكاية في قومي ما دامت الحرب عالقة بيننا . »

من بعدها ترد النقا يا بويقان   حسبتنا ثميما جزيلا شرابه!?!.

اي من بعد كل النذالات التي ارتكبتها ترد علينا النقا اي تعلن علينا الحرب يا ايها الناكث للعهد ، وبويقان تصغير بوقان ، وبوقان ، صفة يراد بها المبالغة الشديدة ، من فعل باق وهو نكث العهد ، وصغره هنا قاصداً تحقيره من الناحية الاجتماعية وتكبير نذالته بالنسبة الى تقاليد البادية . وحسبتنا معناها ظننتنا ، وثميما اراد بها الجماعة العاجزة عن الدفاع عن نفسها على سبيل الاستعارة والجزيل الكثير ، وشرابه ، ما يصب على الخبز المثرود من حليب او مرق او نحوه .

وثمع الرلة – اذا ضرب الرجل .

وطب فيه ثمع – اي ضربه اشد الضرب .

ترابيزه – يونانية بمعنى المائدة والمنضدة – وفي قول العالم الجليل « المنضدة » ما لا اسيغه ولا اجده صواباً ، وان وردت الكلمة في بعض المعجمات المصريات ، فالنضد افضل من المنضدة لان المنضدة عامية لا وجود لها في فصيح اللغة . راجع صفحة ٩٥ من كتاب نشوء اللغة العربية ، ونموها واكتهالها ، للامام الحجة الاب انستاس ماري الكرملي المطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٨ . والارادنة يقولون « طربيزة . » بالطاء ويقصدون بها النضيد الذي توضع عليه المنافض التي تجمع فيها البقايا من لفائف التبغ « الدخائن » ونحوها . اما النضد فيسمى ، الطاولة والسفرة ، والميدة .

التركين – سير اللجام وعبريتها العنان الخ .

يسمي الارادنة سير اللجام – الصرغ وجمعه صروغ وقلما سمعته بالمفرد واللجام نفسه عناناً . قال رجل من عشيرة « الاخاضرة » في قصيدة يمدح بها عشيرة العزيزات ويصف خيلهم :

« قب يكاهسن الاعنة بهن زود   عفتوهن للمشالق ضارياه »

قب – جمع قباء وهي الفرس الضامر المهيأة للغارات ، يكاهسن المضارع من فعل كاهس ، ومعناه في اللهجة الاردنية عض بعنف وشدة ، وترك ماعضه سريعاً ، والاعنة جمع عنان وهو اللجام والكلمة في اللهجة الاردنية كما هي في الفصحى . بهن زود – بهن نشاط زائد عن الحد . عفتوهن – من فعل عفت اي كبح جماحه ، وروضه وذلله ولواه بشدة والمراد ان فرسان تلك الخيل كبحوا جماحهن وروضوهن فاسلسن لهم القياد – والمشالق جمع مشلق وهو الغنيمة وضارياه – اي معودات والبدو يقفون على التاء المبسوطة هاء صريحة . كما رأيت .

تسع الرجل اذا لبث في بيته الخ هذا ما قاله العالم الجليل الاستاذ المعلوف والارادنة يقصدون بقولهم تسع – طوف في الارض بدون غاية .

تعيلبة داء يتناثر منه الشعر فصيحها « الحاصة » الخ .

واهالي شرقي الاردن يستعملون الكلمة الفصيحة نفسها لهذا الداء

---

* راجع الاديب ، الجزء الثامن من السنة الرابعة ١٩٤٥ صفحة ٥٧

والحصص في اللهجة الاردنية قلة الشعر او انعدامه، وفي اقوالهم المأثورة: « بارك في الزله الشعور ، والمرة الحصا .» اي بارك في الزبب من الرجال والحصاء من النساء اي التي لا يعلو جسمها او وجهها شعر .

تفضفض فهو مفضفض – اي هو في سعة من العيش الخ .

والارادنة يقولون تفضفض وهم يعنون بذلك اتسعت حالته بعدالضيق، ويقولون للواسع مفضفض، وفضفض الثوب جعله واسعاً . وفضفض الفرس باعد ما بينه وقلع بعضه .

تندة – السترة والطنف الخ .

والارادنة يقولون « تنتا ، وتندة » لما يظل الرأس من غطاء السيارة ليس غير .

تقنطر الفارس عن فرسه – اذا سقط عن السرج الى الارض الخ .

والارادنة يقولون تقنطر الفـارس اذا سقط بسبب عثور فرسه ، او انقطاع لحزام سرجها – اي اذا كان سقوط الفارس لا يدل على انه يجهل فن الفروسية . اما اذا كان سقوطه لجهل منه او لخوف فيقولون وقع » . وليس اصعب على الاردني من ان يقال وقع عن الفرس . واخف من قولهم تقنظر ووقع ، « تقنطرت فيه الفرس . »

التوغ – فارسي عربته العرب بلفظ طوخ الخ .

الارادنة يقولون داغ – لسبة تضعها الحكومة على شيء خاص بها ، وبعضهم يقول داغ الميري ، وسمعت من قال : « اي هو عليه طوخ سلطنة ؟ ! » اي ما له ولهذه المجرفة اهو مميز بشعار سلطاني ؟

[الجيم]

الجبخانة – تركية محل ادخار آلات الحرب ومهاتها ، وتسمى بها المهات المذكورة الخ .

الارادنة يقصدون بالجبخانة – المهات الحربية ليس غير ، وبعضهم يقصرها على ما يلزم للبنادق من رصاص وملح بارود . قال سالم القنصل المار ذكره في قصيدة يناقض فيها جميل الغنات وهو من شعراء البادية المعدودين وكان جميل هذا قد فخر على اهالي مأدبا .

الجبخانة وكل شيء ميسر صمع وهنادي عند حنا بقراطيس!

اي المعدات الحربية موجودة بكثرة ، البنادق الصمع القصيرات والسيوف الهندوانية موجودة عند حنـا بن فرح العزيزات الفارس المشهور والغني المعروف ، كلها موجودة عنده ملفوفة باوراقها لم تستعمل بعد .

جركش الثوب فارسيتها الزركش الخ .

والارادنة يقولون زركش على الاصل بمعنى فوف وطرز اما الخيوط التي تستعمل في الزركشة فتدعى « الزاري » واللفظة نجدية البخار .

جكر منه – اغتاظ الخ .

والارادنة يقولون اندقر منه – اي اغتاظ منه ، ويقولون داقر فيه وداقره اذا حاول ان يغيظه ومن اقوالهم : « ساطي بيبع الكرم وبداقره» . اي انه رجل عنيد كعناد اهل « الساط » لحد ان السلطي مستعد ان يبيع كرمه وهو اقصى ما يعول عليه في تقويم اود معاشه وينفق ثمنه في مماكسة خصمه .

الجلخ فارسيتها (جرخ) بمعنى الدولاب الخ .

اهالي شرقي الاردن يقولون « شلخ » ويقول بعض اهل عجلون « شرخ » لآلة حادة يقطع بها الحطب واسمها الشائع في الجهات الشمالية من شرقي الاردن « الفاروعة » قالت النادبة وهي من عجون

فـاروعة ترعد رعيد وسط الحطب والها هويد
مفحمته طلعت جديد وجمالها ع الدرب ترعى

اي آلته التي يحتطب بها تصوت تصويتاً هائلاً ولها صوت كصوت الرعد والاعصار وهي تجتث الحطب، ولنشاط المتفجع عليه هذا اخى المفحمة قبل موته بأيام ، لكنه ويا للاسف مات والجمال التي تحمل نتائج اتعابه ما تزال ترعى على قارعة الطريق . وهذا شيء محزن . هذه خلاصة مراد النادبة في البيتين .

الجنبازي – البائع الذي يطلب اسعاراً عالية الخ .

الارادنة يقولون – جنبازي، ويلفظون الزاي مضخمة كما يلفظ الاتراك الزاي في لفظة – « يازدي » كتب ويقصدون بها البائع المحتال والمراوغ .

الجنباز – السمسار والمراوغ المحتال والجنبزة الاحتيال .

جهجه – الضوء طلع الصباح الخ .

الجهجهة في عرف الارادنة العمانية : وفلان يمشي على الجهجهون – اي يسير بدون هدى .

[الحاء]

حادفه بدينه – فسرها العالم الجليل في عدد نوار ١٩٤٤ من مجلة الاديب صفحة ٣٤ و ٣٥ بقوله : اذا ماطله الخ .

والارادنة يقولون : « حاذفه » رشقه بالحجـارة ، واذا ارادوا استنكار الوعود الكاذبة قالوا : « ول ! محاذفة ! . . اما تسويف دفع الدين فيدعونه : مماطحة – اي مماطلة ، فهم يقلبون اللام حاء وفرجهم من ضم اوائل الكلم يسكنون اوائل الكلمات ويأتون بهمزة مجتلبة ليتوصلوا بوساطتها من النطق بالساكن ، ولما كانت طريقتهم هذه هي الطريقة الطبيعية لان السكون قبل الحركة ، فقد مررت عليها في معجمي الاردني ونبهت عليها في المقدمة .

حازوقة – فواق . الارادنة يسمون الفواق زقزيقة ، في منطقة الكرك ، والبلقاء وفي ضواحي مأدبا . وسمعت من يقول : « زهقة » في جهات السلط وعجلون .

حاص – فسرها بقوله قلق – والارادنة يقولون :

حاص عن الحجر – اذا زاغ عن حجر رشق به .

حاص عن الحق – اذا حاول ان يتهرب من دفع ديونه ونحوها .

حاص منه ، وحيص منه – اذا غضب اشد الغضب ، وحسده اقبح الحسد .

حايص – مضطرب قلق .

حوصة – نشاط ، ذكاء ، حسن تخلص .

القدس — روكس بن زائد العزيزي

دمّـــــر

متنزه دمشق

✯

كل شيء يحيا بدمر فالسف   ح يغني والدوح يندى ويألق
والنسيم الحبيب ينفح بالعطر   وينشي كالبـابلي المعتق
والازاهير في الدروب تهادى   فهي ورد نضر وفل وزنبق
هوذا الياسمين مد على الصخر   شبـاكا من نوره وتسلق
تتغنى الحقول سكرى من العط   ر ومن سجعة الحمام المطوق
بلبل في غصونه يتشكى   ونهير بدمعه يترقرق
ونُهَير من زهوه يتثنى   ناعما كالصباح ان هو اشرق
لفه الروض حين اغيا عليه   فهو والروض مرفق ضم مرفق
والمســاء الجميل شعر بهي   دغدغته قيثـارة تتشوق
لوّنته الغيوم فهو كتـاب   عبقري الرسوم حلو مزوّق
والحقول الطاف تندى من البشر ويسري بهـا الشراب المروّق
نهل الدوح من نداهـا فغنى   وانتشى النهر من شذاها فصفق
وعـلى كل تلعة رف قصر   وعلى كل ربوة لاح جوسق

*

ذاك واد طعمت فيه المسرا   ت وقلبي ، الغداة تعلق
مسرب من مسـارب الخلد حاو   يتمنى ورونق اي رونق
كل ما فيه فاتن مستطـاب   يتشهى ويستحب ويُعشق
طاف روحي عليه كالغيم هيما   ن وأهوى على حماه وأحدق
غَرَقٌ لست ارتوي منه عمري   كل نفس في حلمها العذب تغرق

*

أيهذا الوادي منحتك قلبي   فاحيَ فيه قصيدة تتـألق
وأعد لي الحياة حلمـاً شهياً   كالربيع الحبيب يبهى ويعبق

دمشق   انور العطار

نداء الأعماق

بقلم سهيل ادريس

مهداة الى محمود تيمور بك

خرجت من لدنه مسرعة تحث الخطى، وإن قهقهات رعناء لتملأ اذنيها، وان كلماته الاخيرة الثلاث لتتردد مصدية في مسمعها: «السبت، الساعة الخامسة» ... بيد انها كانت معنية – رغم تلك الرعشة التي تسري في كيانها – بان تسدل دون ما حدث ستاراً كثيفاً ... انها لم تكن خائفة في تلك اللحظات، ولم تكن لتشك في ان هذه اللقيا العابرة، ليس من شأنها ان تمس ما نذرت له نفسها ... فان ذلك الشعور الممتلىء المطمئن الذي بات عقيدتها الراسخة، أبعد مدى، واعمق اثراً، من ان تصيبه بسوء سحابة صيف عابرة!

وبلغت دارها، فألقت على والدها الشيخ المتمدد في كرسيه الطويل سلاماً مقتضباً، ثم راحت تنزع ملابسها على ونىً، وما لبثت ان خرجت الى الشرفة، فجلست تتأمل البحر المنبسط امامها على مدى النظر ...

وسرعان ما انبعثت صور الماضي تترى في ذاكرتها، امام هذا البحر الذي عايشها وعايشته، وحيا حياتها وحيت حياته، منذ ان قضت والدتها، ومنذ ان وعى ذلك الشعور نفسه، حتى تمكنت جذوره، وسرت في دمها عقيدة كأرسخ ما تكون عقيدة ... انها الآن لتذكر كلمات امها المتقطعة، في النزع الاخير، ترسلها على جهد وضنى:

«ليلى ... ان زينة الفتاة شرفها؛ فحافظي على شرفك، وقي جمالك من الوقوع في الشراك المنصوبة له ... انظري هذه الموجة المتسلسلة القادمة الينا: اريدك ناصعة طاهرة مثلها ...»

ولم يتقدّر لأمها ان تتلفظ باكثر من ذلك ... بيد ان كلماتها ظلت حية في نفس ليلى كما لم تحيَ كلمة؛ بل انها كانت تزداد تيقظاً والتهاباً، ما تتالت الايام. ووعتها ليلى اشد الوعي، وكانت تلقى فيها امها نابضة بالحياة والشعور. وتلك الجملة الاخيرة، مكثت تلتهب في ذاكرتها، كما تومض جمرة: «هذه الموجة، اريدك ناصعة طاهرة مثلها ..»

ولطالما كانت ليلى تجلس على الشرفة، في كل ساعة من ساعات يومها، تنظر الى البحر، وان في عينيها لحباً وتقديساً وتهيباً، وتتابع الامواج المتسلسلة على بعد، تنخفض وتعلو، حتى اذا دنت التأمت اجزاؤها، وتجمعت موجة مزبدة متدفقة، ناصعة البياض، تتناهى هادئة، كأنها في حلم، عند الصخرة الجبارة التي اقيمت عليها دارهم .. وما تلبث طويلاً حتى تتجدد، فتعود انصع بياضاً، واوفر تدفقاً وسخاء ... وظلت ليلى تراقب هذه الموجة التي تمثلت بها امها، حتى اصبحت بينهما وشيجة متينة من صداقة وود! .. وانه ليخيل اليها ان امها كانت تريد ان تواصل قولها: «اذكري دائماً هذه الموجة، واحبيها يا ليلى ... احبيها فتكوني مثلها ...» وعلى ذلك الشعور الساذج، الذي يملأ فؤاد فتاة في الثامنة عشرة، نشأ وعي ليلى بانوثتها، وترعرع حسها بجمالها .. وكانت – ما قوي شعورها بهذه الانوثة وذلك الجمال – تجدد عزمها على ان تظل بريئة وادعة تعيش لطهرها وبراءتها .. وكلما تجلى لها هذا الشعور، واتضح خطوطاً، زادت ثقتها بنفسها، وايمانها بانها ستمسك مثلاً رفيعاً للفتاة الطاهرة.

وانها لتذكر الآن باضطراب ما حدثها به ابوها الشيخ ذات اصيل، من انها اصبحت فتاة جذابة، لن يلبث الشبان ان يتهافتوا عليها كما تتهافت الفراشة على اللهب ... وقال لها ابوها: «ولكن هؤلاء الشبان على قسمين: قسم يرغب في حياة شريفة، ويبغي الزواج، وقسم يرغب في حياة فاسقة، ويبغي المتعة» ... فاذا ليلى تقاطعه بجدة فتاة شموس فتقول بوثوق: «اطمئن يا أبي، فلا اولئك ولا هؤلاء امكنهم من ان يجدوا فيّ ما يصبون اليه ...» واذا والدها يضحك بملء فيه ويقول: «لا ... لا يا ليلى. لا تفكري في ان تظلي عذراء ... ولكن احرصي على ان تظلي شريفة ... وكأن هذه



الكلمات لمست منها الصميم ، فاذا هي تنخرط في البكاء ، بكاء طفل وديع ، واذا بها تقول بقوة ، وان نشيجها ليتعالى : «بلى ... بلى .. سأكون عذراء صافية كهذه الموجة يا ابي ، وكما اوصتني امي . » ثم دلفت الى غرفتها من غير ان تسمع اباها الشيخ يقول بصوت هادىء ، وهو يبتسم : « سترين يا ليلى ... انت حقاً طاهرة ، ولكنك لم تعرفي الحياة بعد ... »

ومهما يكن من امر ، فان ليلى راحت تقضي ايامها ، مطمئنة ، ناعمة البال ، تتمتع بحظ وافر من السعادة والرضى والنعيم ، وتوثق اواصر مودتها بزهور الحديقة ، واغاني الطير ، وامواج البحر .. فتصيخ ابداً الى خريرها الناعم ، وتنعم بزرقتها الحالمة ، وتراقب هدوءها وسريانها المتمهل الهانىء ... وكانت تشعر بأن البحر يبادلها مودتها وصداقتها ، فتجده دائماً حريصاً على ان يكون جميل المنظر ، هادىء الاواذي ، حالم النظر ، يرسل امواجه الى الشاطىء كأنها تحيات لها ! ... وكم كانت تعتقد ان هذا النعيم الذي ترتع فيه قصارى ما تصبو اليه ، ومنتهى ما تأمل في الحياة ...

*

كانت ليلى على الشرفة تستبعث هذه الذكريات ، وتستدعي تلك الصور ، حين احست نسمة باردة تنفذ الى جسدها فاذا هو يرتعش مقروراً .. ووضعت ليلى المعطف على كتفيها تلتمس الدفء ولكنها كانت تشعر بأن جسدها يزداد ارتعاشاً .. وفجأة طفت الى ذهنها حادثة اليوم : هي لا تذكر الا انها ألفت نفسها في داره هو ، يوسف ...

وجدها تتنزه في الحديقة العامة ، فالقى عليها السلام ، فاذا هي ترده له .. وحين نظرت اليه ، عراها الاضطراب واحست ان في بصره المحدد اليها قوة جاذبة ، وفي بسمته المرتسمة على شفتيه فتنة ساحرة .. وحين كلمها اسرها بحديثه ، فاذا هي تطيب نفساً بمبادلته الحديث .. وكلمها عن نفسه ، وعمله ... وهي تستمع اليه بمودة وانتباه . ولكنه حين رغب ان تحدثه عن نفسها ، لاذت بالصمت ، كأنها كانت تخشى ان تطلعه على حياتها وعقيدتها ... وابتسم ازاء صمتها ، وغادرا الحديقة العامة ، واذ ذاك رجاها بان تستقل معه سيارته الفخمة الى داره لتناول فنجان من الشاي في هذا الجو الربيعي الرطب ... وشاءت ان ترفض ، او تعتذر ، ولكنه فتح باب السيارة ، ودفعها الى داخلها برفق وهو يضحك . وفي داره الفخمة ، اعد لها ، هو نفسه ، الشاي ، وتحدثا طويلا باشياء عادية بل تافهة احياناً ... ثم عاد يرجوها بقوله : « حدثيني من انت ايتها .. الجنية الحسناء ! » فبدا عليها سهوم وشرود ، وكادت تستغرق في ذكرياتها ، لولا انه ضحك ، واقترب منها يقول : « ليس يهمني ان تحدثيني عنك ... فانا اراك بملء عيني ... » ثم مد ذراعه يحوط بها عنقها .. وشاءت ان تتخلص منه ، ولكنه جذبها اليه بشدة ، وقبلها في شفتيها ... فاذا هي تنهض مرتعشة ، تود الخروج ، واذا هو يسارع معتذراً ، راجياً ان تصفح عنه .. وبعد لحظات صمت سألها : « هل اوحيت لك كرهاً يا آنسة ؟ » فلم تجب ... وعاد يحدثها ، ولكنها بدت اكثر شروداً واشد سهوماً ... واخيراً تركها تخرج . ولكنها حين همت ان تهبط السلم ، نظر اليها نظرة بعيدة القرار ، ثم ضغط على ذراعها ، وقال بلهجة واثقة من نفسها : « ليلى ... انا بانتظارك يوم السبت ، الساعة الخامسة .. » فاجابت وهي تجهد في التخلص منه ، وان على تقاسيم وجهها ضيقاً وتململاً : « لا .. لا .. دعني .. ولا تنتظر ان آتي ، فانني لن اراك بعد اليوم ! » فلم يجد الا ان يضحك ، فاذا هي تلتفت اليه بتضرع ، وتتمتم بخفوت ، مضطربة راعشة : « انس الذي مضى ... ومع انه كان تافهاً ، فسأستغفر ، وسأظل كما كنت وكما اود ان ابقى ! »

كم كان ذلك سريعاً ! ... ان ليلى تكاد لا تصدق ان كل ذلك قد حدث منذ حين ، وانها — هي — كانت فيه احد الطرفين ! .. وضمت ليلى اطراف المعطف على كتفيها تتقي البرد الذي اشتد ، وانحت نظرها الى البحر ... فاذا هي ترتجف ، واذا غصة تحرق حلقها ، واذا بها تحبس انفاسها لحظات : لم يكن البحر ، كما تعودت ان تراه ، هادئاً ساكناً ، ازرق اللون ، هامس الصوت .. بل كان مصطخب الامواج ، كالحاً ، يرسل صوتاً غريباً تسمعه لاول مرة ، ويرعشها لاول مرة .. كان نداء خافتاً ترسله الاعماق .. وحدقت ليلى ، فاذا هي ترى موجة كبيرة ، صاخبة ، متلاطمة الامواج ، تتكسر على الصخرة الجبارة ، بصوت ثاقب ، وتحمل في ثناياها اوشاباً وطفيليات وحشائش ... حشائش كثيرة مسودة اللون ...

ودخلت غرفتها مهتزة الجسد ، واوت الى فراشها ، مذعورة .. جزعة .. وحسبت انها اخذت تهدأ حين جددت عزمها على ان تتمسك بعقيدتها ، وتستغفر لهفوتها .. وتراءت لها صور ماضيها مهتزة ، مغبرة الاوضاع تغشاها سحابة مضطربة .. ولكن الذي كان يضح في ذهنها اعظم الوضوح ذلك البيت البعيد .. بيته هو ، يوسف .. وهوم الكرى على جفنيها ، وهي تراه ، هو يوسف ..

يحوط عنقها بذراع حديدية جبـارة ، ويطبع على شفتيها شفتين تلتهبان ناراً ورغبة وحنيناً ..

*

... وعلى الرغم من انها ضلت الطريق ، وان السـاعة قد اشرفت على الخامسة ، فانهـا لم تكن تحس اي اضطراب .. كانت على غاية من الهدوء ، وكانت تسائل المارة بكل سكينة عن داره ، فتجاب بعلامة استفهام ترسم على الشفتين ! ومع ذلك ، لم تكن لتتردد .. كانت تسير بخطوة ثابتة متزنة ، كأنما تدفعها الارض دفعاً على وتيرة واحدة : انها ستبلغ الدار ، مهما بعدت ، وسينتظرها ، هو ، مهما تأخرت . وكان في عينيها استسلام افضى اليه يأس مرير ، ومرارة يائسة .. ولكن بريق نشوة كان يلتمع في عينيها ، كلما المت بخاطرها ذكراه .

واهتدت اخيراً الى الدار في الساعة الخامسة والنصف ، ورقت السلم بخطوة ثابتة ، وحين لقيها يوسف ارتمت على صدره .. وبينما كان يحاول ان يقتطف قبلة من عنقها الشهي البض ، وسعها ان تحدر دمعة لم يرها ، ولم تشأ هي ان يراها .. وحين استقر بها المقـام ، نظر اليها وفي عينيه بريق النصر ، وعلى شفتيه بسمة متكبرة .. واذا هي تغضي ، وتصرف نظرها عنه : كانت على اعظم اليقين بأن عينيها تتضرعان ان يصمت ، وان يسكت ، والا يسألها عن شيء لن تطيق ان تجيب عليه ! .. ومتمتة يضحك ، فانفرجت اساريرها . ولكنه قال :

— لم تبرّي بوعدك يا ليلى .. فاني اراك قد اتيت !

فاذا طفرة من الدم تصبغ وجنتيها ، واذا هي تحس صدرها يخفق خفقاً شديداً حتى لتتهشم ضلوعها .. وشعرت انها تريد ان تثور ، وتحنق ، وتصرخ ، وتشتمه . ولكنه كان قد اقترب منها ووسد رأسها ذراعه ..

وعادت الى دارها في الساعة التاسعة ، محطمة

ومكثت امام باب الشرفة زمناً طويلاً لا تنبس ، ولا تتحرك ، ثم فتحته بهدوء ، وخرجت تتأمل البحر :

كان كما ارادت ، وكما خشيت ، ان يكون .. على الرغم من ان الليل كان قد هبط كثيفاً ، فانها كانت ترى كل شيء واضحاً جلياً : كان البحر على غاية هياجه ، تعلو امواجه جبالاً شمـاء ، وتنخفض اودية سحيقة ، وكان لونه كالحاً اشد الكلحة ، كأنما صبغ بلون جديد باهت .. وكان صوته رعداً كرعد السحاب الكثيف ، وزمجرة كزمجرة العاصفة الهوجاء : انه نداء الاعماق .. كانت ليلى ترى في هياجه دعوة حارة ، وتقرأ حنيناً شديداً في كلاحته ، وتسمع في صوته نداء صارخاً .

ومكثت ليلى ترقبه يشتد هياجاً ، ويزداد صخباً ، ويرتفع صوته هادراً ، ويشكل الجبال العالية والاودية السحيقة .. كانت كأنها فاقدة الشعور ، وكأن اعصابها قد تقطعت ، فلم تعد تصلح لخلق الاحساس .

وفجأة ، طفرت الى ذهنها صورته هو ، يوسف .. وصورتها هي ، في غرفته .. وفجأة عاودتها ذكريات ايامها السالفة ، وصورها الماضية .. ونظرت ليلى فاذا هي ترى الموجة تقبل عليها صاخبة متلاطمة ، قوية جارفة ، تهدر هديراً عجيباً ، وتصل الى الصخرة الجبارة التي اقيمت عليها دارهم ، فتتكسر بجنون على الشاطىء ، واذا رشاشها يرتفع حتى ليلامس اقدامها .. ثم تنخفض ، فيبرز قاع البحر ازاء الصخرة ، عميقاً ، سحيقاً ، كأن تياراً شديداً جذب المياه بعيداً عن الشاطىء ..

وعادت الموجة بعد لحظة ، اشد هياجاً ، وارفع صوتـاً ، وابهت لوناً .

واحست ليلى ان سمعها قد صم ، حتى لم تعد تسمع شيئاً ، بل ارهف حتى لتسمع كل نأمة حولها ، وشعرت بأن عينيها قد غشيتا حتى لا تريان شيئاً ، بل ازدادتا حدة ونفـاذاً حتى لتريان ادق الاشياء .

وفجأة عراها الاضطراب ، فالتاثت احاسيسها ، واختلطت مشاعرها وتناثرت ذكرياتها ، وتمازجت بامواج البحر .

ان هذا البحر المجنون ، لن يهدأ حتى تستجاب دعوته : دعوة الموجة الجريح ، ولن يستقر حتى يلبى نداؤه : نداء الاعمـاق السحيقة ! ...

سهيل ادريس



ناموس العشق في فلسفة ابن سينا

بقلم كمال اليازجي
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

★



ان الذين يكثرون من الرجوع الى الكتب القديمة ذوات الورق الاصفر الجاف، والحروف القديمة المهشمة، والاخراج السمج المشوه، كثيراً ما يظفرون - في مقابل ما يبذلون من جلد، ويتكبدون من عناء، ويضحون من جهد - بآثار فكرية ممتعة، هي من الطرافة بحيث تنسيهم مضض العناء، وتبعث في نفوسهم مرح الرضى. ومؤخراً زجني حب الاستطلاع في تلك المجاهل فوقعت لابن سينا على كتيب لا يتجاوز الاحدي والعشرين صفحة وسمه «برسالة العشق». قرأته فاذا هو على جانب عظيم من الطرافة في الرأي والبراعة في التعليل. وقد خطر لي - وفرصة الصيف سانحة - ان اوافي قراء «الاديب» بتحليل موجز لفصوله، وعرض اجمالي لقضاياه الكبرى.

معنى «العشق» في هذه الرسالة

في القاموس: «عَشِقَهُ يعشقه عشقاً: تعلق به قلبه... وعشق بالشيء: لصق به». ونحن اكثر ما نستعمل هذه المادة بالمعنى الاول، على ان المعنى الثاني ليس نادراً لاسيما بين ارباب الصناعات. فالنجار يقول: ان الخشب لا يعشق رأساً لرأس بل جنباً لجنب وصفحة لصفحة. والبناء يلاحظ ان الاسمنت يعشق بالحديد دون الخشب. والذي يبدو ان ابن سينا قد استعمل مادة «عشق» بالمعنيين معاً، ولعل مبرر ذلك: انهما نشأا من اصل واحد، بدليل ان الالتصاق واللزوم انما هو غاية الانجذاب والشوق.

والعشق - على ما في هذه الرسالة - لا يختص بنوع الانسان بل هو ناموس سار في جميع الموجودات: من فلكيات ومولدات وعنصريات، هو منها بمقام العامل الاساسي الذي به تنشد الاستمرار والبقاء. ومن ثم صح ان يفترض - في تقدير ابن سينا - مبدأ للكون، تتشعب منه وتلتقي فيه سائر الحقائق الكونية الاخرى.

وقبل ان يبسط ابن سينا مبدأ النزوع العشقي في المادة والنبات والحيوان والانسان والافلاك، يحاول ان يثبت ان العشق ضرورة وجودية لا يصح قيام الكون بدونها.

العشق ضرورة وجودية

يذهب المؤلف في هذا البحث الى ان لكل موجود غاية طبيعية يسعى الى تحقيقها في ذاته اذ فيها خيريته وفي بلوغها كماله. وهذا العامل الذي به يسعى الموجود الى غايته او كماله انما هو عشق مغروز في جبلته يدفعه بحكم كيانه الطبيعي نحو تلك الغاية. وعليه فالنزوع الطبيعي او العشق الغريزي في الموجود هو السبب الجوهري لوجوده. قال: «كل واحد من الهويات المدبرة لما كان بطبعه نازعاً الى كماله الذي هو خيرية هويته... كان لكل واحد من الموجودات المدبرة شوقاً طبيعياً وعشقاً غريزياً. ويلزم ضرورة ان يكون العشق في هذه الاشياء سبباً للوجود لها». وهذا الشوق الى التكمل انما ينتج عن شعور بالنقص في الكيان الراهن واحساس بالاستعداد لبلوغ الغاية. فالشعور بالنقص والشوق الى بلوغ الكمال الطبيعي يسميه ابن سينا عشقاً ويجعله امراً ضرورياً لا محيص عنه للموجود. ذلك: «ان كل واحد من الهويات المدبرة لما كان لا يخلو عن كمال خاص به، ولما لم يكن مكتفياً بذاته لوجود كمالاته... فمن الواجب في حكمته (حكمة الله) وحسن تدبيره ان يغرز فيه عشقاً كلياً حتى يصير بذلك مستحفظاً لما نال من فيض الكمالات الكلية، نازعاً الى الايجاد لها عند فقدانها» فهذا العشق يمكن الكائن من حفظ كماله موجوداً، ويحمله على السعي اليه مفقوداً، ولولاه لآل الامر بالكائن الى العدم. قال: «فواجب اذن وجود هذا العشق في جميع الموجودات المدبرة وجوداً غير مفارق، والا لاحتاجت الى عشق آخر يستحفظ هذا العشق الكلي عند وجوده اشفاقاً من

عدمه، ويسترده عند فوته ... فوجود كل واحد من المدبرات بعشق غريزي » .

المشق المادي الطبيعي

ان العشق الغريزي في الكائنات الجامدة هو سبب وجودها . وهذا الكائن الجامد يتألف من ثلاثة اقسام احدها : الهيولى — وهي في اصطلاح الفلاسفة : المادة — والثاني : الصورة — وهي عند ابن سينا مجموعة اوصاف الشيء الملازمة لكيانه ، والثالث : الاعراض — وهي الصفات الاضافية الاخرى . وهذه الاقسام الثلاثة في الكائن الجامد — اي الهيولى والصورة والاعراض — يسعى بعضها الى بعض مفقوداً ، ويلازم بعضها بعضاً موجوداً . وهذا الشوق الذي يعمل ابداً على الجمع بين اجزائه هو العشق الغريزي الذي يؤمن وجوده قال : « وكل واحد من هذه الهويات البسيطة الغير الحية قرين عشق غريزي لا يخلو عنه البتة وهو سبب له في وجوده ، فاما الهيولى فلديمومة نزاعها الى الصورة مفقودة ، وولوعها بها موجودة ... واما الصورة فالعشق الغريزي فيها ظاهر بوجهين : احدهما ما نجد من ملازمتها موضوعها .

والثاني : ما نجد من ملازمتها كمالاتها ومواضعها الطبيعية حتى حصلت فيها ، وحركتها الشوقية اليها متى باينتها ... واما الاعراض فعشقها ظاهر بالجد في ملازمة الموضوع ايضاً ، وذلك عند ملابستها الاضداد في الاستبدال بالموضوع » .

ودليل وجود هذا العشق بين اقسام الكائن الجامد انه اذا فصل بين مادته وصورته واعراضه لا تلبث المادة ان تتلبس بصورة اخرى واعراض اخرى . ومتى فشل هذا العشق في الجمع بين الهيولى والصورة والاعراض — كائنة ما كانت — آل امر الموجود الى العدم . وما دام في قيد الوجود فالعشق الغريزي لا يفارقه « فاذن ليس يعرى شيء من هذه البسائط عن عشق غريزي في طباعه » وظاهر من هذا الوصف ان الذي يسميه ابن سينا عشقاً مادياً انما هو قوة طبيعية خفية تجمع بين اجزاء الشيء وذراته وعناصره حفظاً لكيانه ، وهي — على ما يبدو — اقرب ما يكون الى ما يسميه علماء الطبيعة اليوم بالافنتي affinity والكوهيجن cohesion والادهيجن adhesion مجتمعة . وهذه القوى الطبيعية ملازمة لكل كائن طبيعي ، وهي تنطبق على جانب مما اراده ابن سينا بناموس العشق .

العشق النباتي

المقصود بالنفس النباتية — في عرف الفلاسفة القدماء — تلك القوة الكامنة في الجسم الحي التي تدفعه الى القيام بوظيفة التغذية والنمو والتوليد . وقد نسبت الى النبات لانها تميزه من الجماد ، ولانها اسمى ما للنبات من قوى . والنفس النباتية ليست خاصة بالنبات — كما قد يظن من هذه التسمية — بل هي جزء من النفس الحيوانية والبشرية ايضاً ، لان هذه ايضاً تتغذى وتنمو وتولد . الا ان النفس الحيوانية تتميز من النباتية بقوتين اضافيتين هما قوة الحس والحركة ، والبشرية على الحيوانية بقوة واحدة هي القوة المفكرة او الناطقة — كما سماها فلاسفة العرب . ثم ان العشق الموجود في النفس النباتية تابع لقوتها ، فهو اذن مثلث المظهر : يبدو في القوة المغذية بصورة شوق الى الحصول على الغذاء لدى الحاجة اليه ، ويظهر في القوة المنمية بظهر السعي لزيادة حجم الكائن الحي ، ويتجلى في القوة المولدة بحرص الحي على تكوين كائن من جرمه شبيه به . قال بعد ان ذكر اقسام النفس النباتية « كذلك العشق الخاص بالقوة النباتية على ثلاثة اقسام : احدها يختص بالقوة المغذية وهو مبدأ شوقه الى تحصيل الزيادة المناسبة في اقطار المغتذي ، والثالث يختص بالقوة المولدة وهو مبدأ شوقه الى تهيئة مبدأ كائن مثل الذي هو منه » فحرص الكائن الحي على طلب الغذاء والنمو والتوليد انما هو حاصل بنزوع عشقي غايته دوام البقاء ، ان لم يكن بالشخص فبالنوع ، وذلك عن طريق تحقيق الجنس قبل زوال الفرد . وما دامت هذه الكائنات حية فهي دائمة العشق ، واذن فالعشق نزوع طبيعي اصيل فيها ، منبثق من كيانها ، ملازم لحياتها .

العشق الحيواني

تشترك النفس الحيوانية مع النباتية باشتمالها على القوى المغذية والمنمية والمولدة ، وتمتاز عليها بالحس والحركة . والعشق الغريزي في الحيوان يستعمل القوة الحاسة والمحركة من اجل النفور مما هو بحكم الضار له ، والنزوع نحو ما هو بحكم النافع له . ولولا هذه الغاية لكانت القوة الحاسة والقوة المحركة بلا مبرر . ويذكر ابن سينا ان القوة الشهوية في الحيوان هي — في جوهرها — كالقوة الشهوية في النبات ، الا انها اشد تعقيداً ، وتتم باسلوب من الافاعيل احسن تنسيقاً . وهذه القوة في الحيوانات الدنيا تقرب من القوة النباتية باعتبار انها قسرية ، وفي العليا تقرب من الانسانية من جهة انها اختيارية . على ان ابن سينا يضيف الى ذلك ان هذه القوة ، وان اتفقت في البشر والحيوانات العليا من حيث الاختيار ، الا انها في البشر فعل واع وفي الحيوانات فعل غير واع قال « فان الحيوان الغير الناطق وان تحرك بعشقه الطبيعي ... تحريكاً اختيارياً

يتأدى به الى توليد المثل فلن تكون الغاية منه مقصودة بذاتها » .

اما الحكمة من هذا العشق – قسرياً كان ام اختيارياً ، واعياً ام غير واع – فهو البقاء . ولما كان بقاء الفرد بنا في ناموس الكون والفساد اقتضت الحكمة الالهية ان يكون الكون والفساد في الافراد ، والبقاء في النوع والجنس ، فجمعت بذلك بين الناموسين المتباينين ، قال : « ان العناية الالهية ، لما اقتضت استبقاء الحرث والنسل ، وامتنع المراد في مدة البقاء في الشخص الكائن ، اوجبت الحكمة صرف العناية من استبقائها الى الانواع والاجناس ، فطبعت في كل واحد من الاشخاص ... شوقاً الى تأثير ملازمة توليد المثل ، وهيأت لذلك فيه آلات موافقة » . واود ان اشير هنا الى ان الكثيرين من مفكري اليوم يفسرون الخلود هذا التفسير ، ويفهمونه هذا الفهم .

العشق البشري

كما ان العشق الحيواني يمتاز على النباتي بالحس والحركة والاختيار . كذلك العشق الانساني يمتاز على الحيواني بجملة امور ، منها : ان افاعيله اكثر اتقاناً والطف مأخذاً ، وانه على بينة من الغاية التي ينشدها وهي النسل ، بل انه قد يقدم الصالح الموافق مصحوباً بالالم على اللذيذ الشهي مشوباً بالضرر . كل ذلك تتميز به النفس الانسانية في عشقها بفضل القوة العاقلة – تلك القوة التي تسمو بها من عالم الجزئيات الى عالم الكليات ، ومن الاعتبارات المادية الطبيعية الى الحقائق العقلية والادراكات الروحية . وغني عن البيان ان افراد البشر بهذا الاعتبار متفاوتون ، فمنهم من هو اقرب الى طبقة الحيوانات ، ومنهم من هم فوق متوسط البشر ، لما يتميزون به من حب التكمل والاغرام بالمثل الخلقية العليا . قال « ان الشهوات الحيوانية اذا تناولها الانسان تناولاً حيوانياً فهو متعرض للنقيصة ومضر بالنفس النطقية ... اذ مقتضيات شغلها هي الكليات العقلية الابدية لا الجزئيات الحسية الفاسدة .. فان الانسان اذا احب الصورة المستحسنة لاجل لذة حيوانية فهو مستحق اللوم ... ومهما احب الصورة المليحة باعتبار عقلي عد ذلك وسيلة الى الرفعة والزيادة في الخيرية » وهكذا فابن سينا ينحو في عشقه الانساني نحواً افلاطونياً ، فيرذل اللذة المادية التي يؤدي اليها العشق احياناً ، ويجعل ذلك في مصاف الافاعيل الحيوانية ولا يبرره الا اذا كانت الغاية منه مجرد النسل ، والا فهو يؤثر العشرة البريئة والحب العذري . واذن فالعشق البشري يجب ان يكون عشقاً للجمال نفسه لا للشخص الجميل ، وبذلك وحده يرتفع من حضيض الدنيويات الى اوج الالوهية .

العشق الالهي

لما كان القدماء يجهلون ناموس الجاذبية وتأثير قوتي الجذب والدفع في تحريك الكواكب ، فقد ظن جملة من فلاسفتهم ان النجوم كائنات حية ذات جسم هو الكوكب ، ونفس هي مبدأ الحركة فيه ، وعقل هو المدبر له . وقد اعتبروها طبقة فوق طبقة البشر لانتظام حركتها وسمو نفوسها وقوة عقولها ، وربما جمعوا بينها وبين ما يسميه ارباب الاديان بالملائكة .

ولا يستثني ابن سينا هذه الكائنات السماوية من نزعة العشق ، بل يعيد هذه الحركة الدائرية الدائمة التي تلازمها الى ناموس العشق ، معتقداً انها انما تسعى في حركتها هذه الى امر فيه خيرها – كما هي الحال في سائر الكائنات الدنيا . قال : « كل واحد من الاشياء الحقيقية الوجود اذا ادرك او نال نيلاً من الخيرات فانه يعشقه بطباعه عشق النفوس الحيوانية للصورة الجميلة . وايضاً كل واحد من الاشياء الحقيقية الوجود اذا ادرك ادراكاً حسياً او عقلياً ، واهتدى اهتداء طبيعياً الى شيء مما يفيده منفعة في وجوده ، فانه يعشقه في طباعه لاسيا اذا كان الشيء مفيداً له خاص الوجود مثل عشق الحيوان للغذاء ... وايضاً كل شيء اذا تحقق ان شيئاً من الموجودات يفيده التشبه به والتقرب والاختصاص به زيادة فضيلة ومزية فانه يعشقه بطباعه عشق العامل لوليه » . وعشق الكائنات العليا هو من هذا النوع الاخير . فالنفوس البشرية السامية ونفوس الكواكب انما تستهدف الكمال المحض والخير المطلق تقرباً منه وتشبهاً به . ولذلك هي ابداً تسعى لاستيعاب الحقائق الازلية وادراك الحق الاسمى : وعليه فالعشق الالهي يقوم بمعرفة الحق الاسنى وتأمل الكمال المحض ، او بالسعي للحصول على تلك المعرفة والتمتع بذلك الكمال قال : « ان النفوس البشرية والملكية لما كانت كمالاتها بان تتصور المعقولات ... بحسب طاقتها تشبهاً بذات الخير المطلق ، وان تصدر عنها افاعيل هي عندها ... عادلة كالفضائل البشرية ، وكتحريك النفوس الملكية للجواهر العلوية ، توخياً لاستبقاء الكون والفساد تشبهاً بذات الخير المطلق – وانما تأتي هذه التشبهات لتحوز بها القرب من الخير المطلق ولتستفيد بالتقرب من الفضيلة والكمال ... فواجب على ما اوضحناه سالفاً ان يكون الخير المطلق معشوقاً لها اعني لجملة النفوس المتألهة ... وهذا العشق الالهي هو سبب بقائها وبقاء الكون الذي تدبره ، وهذا البقاء متحدر

اليها من الاول المطلق لتشبهها به ، اذ هو وحده ينفرد بالازلية المطلقة .

العشق الذاتي

ان الذات تسعى ابداً الى ما فيه خيرها وكمالها بعامل العشق. ولكن هذا الخير الذي تسعى اليه الذات هو في نفسه معشوق ، فسعيها اليه ليس من اجل انه نافع لها فقط . قال في تعليل ذلك . « ان الخير بذاته معشوق ، ولولا ذلك لما نصب كل واحد ممن يشتهي ان يتوخى غرضاً امامه يتصور خيريته ولولا ان الخيرية بذاتها معشوقة لما اقتصرت الهمم على ايثار الخير في جميع التصرفات وذلك ان الخير عاشق للخير — لان العشق ليس في الحقيقة الا استحسان الحسن والملائم جداً . وهذا العشق هو مبدأ النزوع اليه عند غيبوبته . . . والتأحد به عند وجوده » .

ثم انه يقسم الذوات الى قسمين : الاول يعشق كمالا هو في الاصل خارج نفسه ويشتمل على جميع الموجودات ما عدا الله ، والثاني يعشق كمالاً مستقراً ابداً في ذاته هو الله . فالعشق في سائر الكائنات واسطة لتحقيق الذات ، واما في الذات الالهية فهو والذات شيء واحد قال : « ان الموجود المقدس عن الوقوع تحت التدبير . . . مدرك لذاته بالفعل ابد الدهر . . . فاذن عشقه له اكمل عشق واوفاه . . . فاذن الموجودات : اما ان يكون وجودها بسبب عشق فيها ، واما ان يكون وجودها والعشق هو بعينه » . والكائن الجزئي في حبه للخير الجزئي وسعيه للتلبس به انما يحاول ان يقرب من الله ويتشبه به ، ونحن في حبنا للتجمل وعشقنا للجمال انما نحاول الدنو من الله لانه الجمال الاسمى ، وفي سعينا الى الخير واكبارنا له نتلمس القرب من الله لانه الخير المحض ، وفي طلب المعرفة ننشد الحق تشبهاً به لانه هو الحق المطلق . اما الله فلا يتوق الى امر خارج عن ذاته ، لان هذا الشوق يتنافى مع كماله المطلق واذن فهو دائم التأمل في كماله ، دائم العشق لذاته . وهو اكمل عاشق لا كمل معشوق فعشقه اكمل عشق واتمه . واذن فالكون بجملته يندفع بعامل واحد هو العشق نحو غاية واحدة هي الخيرية والكمال .

جملة القول

وجملة القول : ان الواحد المطلق دائم التجلي للكائنات على اختلاف انواعها لكنها لا تحسه ولا تتملأ منه الا بقدار استعدادها الطبيعي الذي يظهر في عشقها له وسعيها للتشبه به رغبة في البقاء . فالعقول العليا والنفوس الفلكية تتصل به بلا توسط وتدركه ادراكاً مباشراً دائماً ، ولذلك هي ازلية ابدية لا يشوبها فساد ولا يدركها عدم ، ولا هي بحاجة الى غذاء او نمو او توليد . اما سائر الكائنات الاخرى فشبهها به انما هو في الغاية دون الوسائط : فالنفس البشرية تتشبه به في الغاية التي هي التلبس بالخير واستيعاب الحق دون الوسائط التي هي الاختبار والتعلم والدرس والاستقراء . والنفس الحيوانية والنباتية تتشبه به في الغاية التي هي استمرار البقاء دون الوسائط التي هي التغذية والنمو والتوليد . والنفس الطبيعية في الجوامد تتشبه به في المحافظة على الكيان الذي هو غايتها دون الواسطة التي هي التماسك بين اجزائها . فهي اذن تخضع لناموس واحد هو هذا الشوق الى البقاء الذي يسميه ابن سينا عشقاً .

وعليه فالكائنات جملة ذات غاية واحدة هي البقاء ، تتوصل اليها — او تحاول ذلك — بوسائل مختلفة والعامل الجوهري الجامع بين الكائن وغايته انما هو هذا العشق الغريزي . واذن فناموس الوجود الشامل انما هو هذا العشق العجيب ، ولولاه لتصدع بناء الكون ، وتناثرت اجزاؤه ، وغدت عناصره هباء منثورا . ولو قيض لابن سينا ان يشرف على عالم اليوم ، ويطلع على احدث مكتشفاته — مبدأ القنبلة الذرية — لقال انه يقوم على عزل الكائن عن ناموس العشق : الامر الذي يؤدي الى تفكيك اجزائه، وبث الفوضى في ذراته وجواهره .

فالعشق الذي نعرفه اذن ليس الا حلقة واحدة من سلسلة طويلة ينتظم فيها عالم الجماد ، والنبات ، والحيوان ، والانسان ، والفلك ، والذات القدسية . ونحن في ممارسته والخضوع له مسخرون - كسائر المخلوقات - لاداء وظيفة مقدسة هي بقاء النوع . وما بقاء النوع الا صورة من صور الازلية المستمدة من ازلية الباري عز وجل . فالعشق — والحالة هذه — ناموس شامل للكائنات ، ضامن ابقائها واستمرارها .

تأمل ايها القارىء الكريم في مشتملات هذه الرسالة، ثم تجاوز عن بعض الاخطاء التي سقط فيها المؤلف لتأثره نزعة العصر، واطلق على بعض مسمياته مصطلحات العلم الحديث ، تجد ان رسالته على جانب عظيم من عمق التفكير ، وطرافة الرأي ، وبراعة التعليل وتتحقق ان الكتب القديمة - امثال هذه الرسالة — خليقة بعناية الناشر ، وعناء المنقب ، وجهد الدارس .

كمال البازجي



صورة

★

اليها . . . شكراً على اهداء

●

يا ابنة الحسن ! ما تصورت ان الـ   فن يلقي الي في سنينك

انها صورة اليك . . . ولكن   هي عندي في وهمهـا كيقينك

لكأن الذي جلاك خيـالا   قد جلا في الخيال سر فتونك

انظرى ! انظري ! فما برحت فيـ   ـها معاني الحراك، رغم سكونك!

هوذا السحر في جفونك يغري   بي . . كعهدي به غداة ركونك

هو يوحي اليّ بالحلم النـا   عم . . ما اعمق الكرى في جفونك!

وعلى الوجنتين مـا يشبه الجمـ   ـرة . . لكن تفسيره في عيونك

وتكاد الغدائر السود ترخي   آية الليل فوق نور جبينك

وكأن الشفاه تهمس لي وحـ   ـدي – في صمتها – حديث شجونك

انا اصغي الى الحديث بقلبي   لا بسمعي، اذ كيف يجري بدونك؟

قد تركت الحياة تنهض في الصو   رة ، لما ملأتهـا بحنينك

كل وضع تراك عينـاي فيه   هو في الحسن آية . . من فنونك

والذي زانهـا بعينيّ ان وقـ   ـعت اهداءهـا بخط يمينك

دارى الجديدة   ابرهيم العريض

ازمة السكر في العالم

كانت اسواق السكر العالمية قبل الحرب تعاني فيضاً مستمراً، وكانت نفقات الانتاج في اكثر البلدان التي تنتج قصب السكر، كجاوى وكوبا، في هبوط دائم، ولكن البلدان التي ينمو فيها الشمندر في اوروبا واميركا الشمالية لم تكن لترضى بأن تنقل الى اهلها فوائد التقدم الفني في انتاج سكر القصب، بل الحت على وجوب الاستمرار في انتاج الشمندر، بثمن باهظ اغلب الاحيان . وفي عام ١٩٣٧ الف مجمع السكر الدولي، وكان غرضه اعادة التوازن، والاحتفاظ به، بين العرض والطلب في السوق الحرة . وبكلمة اخرى، لقد كان هذا المجمع يهدف الى ان يساوي بين الصادر من السكر الرخيص، وبين طلبات الاستيراد التي كانت تحد منها الضمانات المعطاة للمنتجين بنفقات باهظة . وهذا هو احد الاسباب التي من اجلها لم تزد كمية السكر التي راقبها المجلس، الذي كان يمثل واحداً وعشرين بلداً، عن ١٠ ٪ من مجموع الانتاج العالمي الذي بلغ ٣٠ مليون طن من السكر الخام .

ولكن كثرة السكر، كما هو الحال في عدد من السلع الاخرى، قد انقلبت الى قلة في السنوات الست الماضية . فجاوى، التي تعد من اعظم البلدان المصدرة للسكر في العالم، كانت في ايدي اليابانيين، كما ان اعادة الانتاج في جزائر الفيلبين الى سابق عهده يحتاج الى وقت كبير .

وقد أنتج هذان البلدان معاً، قبل الحرب، ٣٥٥٠٠٠٠ طن متري من السكر الخام، او ما يعادل ١٣,٨ ٪ من مجموع الانتاج العالمي من سكر القصب اما في سائر البلدان المصدرة، كأستراليا والهند الغربية، فقد هبط الانتاج فيها منذ عام ١٩٣٩ . فان محصول استراليا، مثلاً، تدنى من ٨١٥٠٠٠ طن عام ١٩٣٨ . الى ٦٢٥٠٠٠ طن عام ١٩٤٤ . ولكن كوبا، اعظم البلدان تصديراً للسكر في العالم، قد تمكنت، لحسن الحظ، من الاحتفاظ بمستوى انتاجها . وموارد السكر التي تحصل عليها الآن المملكة المتحدة، والولايات المتحدة، وكندا، كافية للابقاء على ما يصيب الشخص الواحد، حسب التوزيع المراقب، على حاله، وذلك اذا قيد الاستهلاك المنزلي للمربيات، واستعمال السكر في الصناعات ايضاً . ولكنه سيكون من الضروري، حتى مع قيام هذه القيود، ان يلجأ الى

الذخائر . وقد كانت هذه الذخائر من السكر الخام في الولايات المتحدة ، بالاطنان المترية ، كما يلي :

٣١ كانون الاول	١٩٤٣	١ ٥٩٥ ٠٠٠
٣١ آذار ــ	١٩٤٤	١ ١١٥ ٠٠٠
٣١ كانون الاول	١٩٤٤	١ ١٦٠ ٠٠٠
٣١ آذار	١٩٤٥	٨١٦ ٠٠٠

ويقدر ما تحتاج اليه الولايات المتحدة هذا العام بـ ٦ ٤٩٠ ٠٠٠ طن ، تنتج منها ١ ١٤٠ ٠٠٠ طن وتستورد القسم الاعظم من الباقي ، وهو ٥ ٣٥٠ ٠٠٠ طن ، من كوبا وبورتوريكو واميركا الجنوبية وهوايي . وهذه الكمية هي ضعف ما كانت الولايات المتحدة تستورده عام ١٩٣٧ . فلقد صنعت الولايات المتحدة العجائب في الانتاجين الزراعي والصناعي ابان هذه الحرب ، ولكنها لم تفلح بزراعة شمندر السكر . ومن عام ١٩٣٨ حتى ١٩٤٠ بقي انتاج السكر من الشمندر على حاله ، اي ما يقرب من ١ ٦٣٠ ٠٠٠ ، ثم تدنى عامي ١٩٤٣ — ٤٤ الى ٨٧٥ ٠٠٠ طن . وفي بعض الاحوال ، حولت بعض معامل السكر بحيث تستخرجه من البطاطا لقلة شمندر السكر .

ولقد بلغ استهلاك بريطانيا العظمى من السكر زمن السلم ٢ ٣٤٠ ٠٠٠ طن ، وكان انتاجها المحلي من شمندر السكر عامي ١٩٣٧—٣٨ ٤٤١ ٠٠٠ طن . اما مجموع الاستهلاك في سنة ١٩٤٤ فقد كان ٦٩ ٪ تقريباً من مجموع الاستهلاك زمن السلم . وينوي المسؤولون انقاص الذخائر هذه السنة من ٥٠٠ ٠٠٠ طن الى ٢١٦ ٠٠٠ ، والانتاج المحلي والواردات من دومينيكا وغينيا البريطانية ، والهند الغربية ، وموريتيوس وفيجي قد تجعل مؤونة هذا العام تقرب من ١ ٨٠٠ ٠٠٠ طن . وبالرغم من اتساع مساحة الاراضي المزروعة بشمندر السكر ، كما يظهر من الجدول التالي ، فان محصول عام ١٩٤٤ لم يتجاوز ٤٠٠ الف طن . وكان هذا نتيجة التدني في انتاج الفدان الواحد ، وفي الكمية التي يحتويها الشمندر من السكر : —

عام	الف فدان	المحصول بآلاف الاطنان المترية
١٩٣٩	٣٤٥	٣ ٥٨٥
١٩٤٢	٤٢٥	٣ ٩٨٧
١٩٤٣	٤١٧	٣ ٨٢٠
١٩٤٤	٤٣٤	٣ ٩٣٥

وفي كندا هبطت مساحة الاراضي المزروعة بشمندر السكر من ٤٠ ألف فدان سنة ١٩٤٢ الى ٩ آلاف فدان سنة ١٩٤٣ . ثم ازدادت الى ١٤ ٥٠٠ فدان سنة ١٩٤٤ . وكانت تهدف الى زراعة ٤٠ الف فدان هذا العام . وستستطيع كندا ان تفي بسبع حاجتها من السكر عن طريق انتاجها المحلي ، على ان يبلغ المحصول منه ، والكمية التي يحتويها الشمندر ، معدله السابق .

اما في قارة اوروبا فقد اصطدم انتاج السكر في كثير من البلدان بالاعمال الحربية . والبلدان المحررة في اوروبا الغربية هي محل اهتمام الحلفاء الاعظم ، وباستطاعة القارىء ان يقف على عظيم مهمتهم في ان يقضوا على نقصها في السكر من الجدول التالي : —

انتاج السكر الخام
(بالآف الاطنان المترية)

	١٩٣٧–٣٨	٤٣–٤٤	٤٤–٤٥	مجموع الموارد ٣٧–٣٨
فرنسا	٩٥	٦١٠	٣٠٠	١ ١٠٠
بلجكا	٢٣٩	٢٣٣	١٥٠ الى ٢٠٠	٢٤٠
هولاندا	٢٤٥	٢٠٠	١٥٠	٣٢٠
الدانمارك	٢٥٠	٢١٥	٢٠٠	٢٥٠
النروج	لا تنتج من السكر شيئاً			١٠٠

ولقد استهلكت هذه البلدان الخمسة قبل الحرب مليوني طن من السكر تقريباً . وكانت بلجكا ، في الواقع ، تكفي نفسها بنفسها منه ، وكذلك كانت الدانمارك . واما هولاندا فقد كانت وارداتها الصافية ٨٠ الف طن ، واستوردت النروج كامل استهلاكها ، وفرنسا ما يقرب من ١٥٠ ألف طن ولقد كان معدل الاستهلاك الشخصي سنوياً ، زمن السلم كما يلي بالكيلوجرامات :

بريطانيا العظمى	٥٠،٠
فرنسا	٢٦،٠
بلجكا	٣١،٤
هولاندا	٣٩،٦
الدانمارك	٥٤،٨

وسيزود انتاج سنة ١٩٤٤ البلدان الخمسة المحررة بـ ٤٠٪ من استهلاكها قبل الحرب. وقد بلغ الاستهلاك الفردي في بريطانيا العظمى سنة ١٩٤٤، ٣٢ كيلو جرام، اي ان الاستهلاك فيها زمن الحرب كان ارفع من استهلاك فرنسا وبلجكا زمن السلم.

والمشكلة هي ايجاد مصادر لهذه الكميات التي لا تضاهى. ولقد افردت الولايات المتحدة ٣٢٠٠٠٠ طن لتصديرهـا حسب قانون الاعارة والتأجير، في حين ان حاجة روسيا وحدهـا، التي تبلغ ٥٠٠ ألف طن، تزيد عن هذه الكمية. فيلوح، اذن، ان على بريطانيا العظمى ان تتحمل قسماً من العبء، فترسل السكر الى البلدان الاوروبية. ولكن حصة الفرد المقننة من السكر ستبقى صغيرة، دون شك، حتى ولو ارسل اليهـا اعظم كمية ممكنة. ولا يمكن ان تقدّر المؤن في روسيا وبلدان اوروبا الشرقية، واوروبا الوسطى، تقديراً صحيحاً. فقد انتجت روسيـا، قبل الحرب، نحواً من ٢٣٠٠٠٠٠ طن من السكر، صدرت منهـا ١٣٦٠٠٠ طن. فمن المعقول ان نفترض ان الانتاج الراهن في روسيا لا يساوي اكثر من ربع انتاجها زمن السلم، وانه لن يسمح للشخص الواحد بأن يستهلك عشر الاستهلاك الفردي في بريطانيا العظمى عام ١٩٤٤. والقوات الروسية تحتل ما يقرب من ٧٠٪ من مقاطعات انتاج السكر في المانيا، التي بلغ محصولها منه قبل الحرب ١٤٠٠٠٠٠ طن. وانتجت تشيكوسلوفاكيا قبل الحرب ٧٥٥ ألف طن، وبلغت صادراتها ٢٦١ ألفاً عام ١٩٣٧. اما بولندا فقد اصدرت، قبل الحرب، ٥٢ ألف طن من مجموع انتاجها الذي بلغ ٥٧٥ ألفاً. واما بلدان اوروبا الجنوبية فلم تكن تنتج من السكر شيئاً، بل كانت تستورد جميع حاجتها منه. ولو لم يحدث انفصام في زراعة شمندر السكر، وفي صناعة السكر في اوروبا الشرقية والوسطى، لكانت هناك زيادة محسوسة عن مستوى الاستهلاك في هذه البلدان زمن الحرب، تسد حاجات روسيا. ولكنه من الصعب ان نتصور ان بولندا قد حافظت على مستوى صناعة السكر فيها محافظة تامة. وقد ينطبق هذا على تشيكوسلوفاكيا وحدها، التي هي المصدر الوحيد الذي يرجى عن طريقه اي حل لمشكلة السكر المستعصية. ان درس وضعية المؤن في اوروبا درساً خالصاً على ضوء الارقام يبين عن نقص حالي في السكر، ولكنه لا يفسره تفسيراً كاملاً.

وكما رأينا فيما سبق، فان شمندر السكر من المحاصيل الصعبة في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وكندا. فهو يتطلب من الايدي العاملة، والآلات، والسماد، الشيء الكثير. وكل هذه نادرة في القارة الاوروبية. ولقد هبط الانتاج في الواقع هبوطاً عظيماً في جميع البلدان. وتحضير البذرة من الامور الصعبة، والزراعة تنحط سريعاً اذا لم تكن هناك رقابة مركزية. والجدير بالذكر ان البلدان المتقدمة صناعياً الى درجة كبيرة هي التي تجلي في محصولها من شمندر السكر. فان انتاج كل من الدانمارك والمانيا وهولاندا يكاد يكون ضعف انتاج روسيا.

وقد لا تكون المشكلة الاكبر خطورة في انتـاج شمندر السكر بقدر ما هي في السكر الخام، وتكريره. ان هذه صناعة راقية متقدمة، تتطلب مهارة، وامدادات كافية من الفحم، وبعض المواد الكيماوية المعينة. وفي فرنسا لا يمكن استخراج السكر من نصف منتوجها من الشمندر بسبب قله الفحم. وستنشأ صعوبات مماثلة في بلجكا وهولندا والدانمارك والمانيا وبلدان غيرها. ومع ان المانيا لم تصب بأي تدمير ابان الحرب الماضية، ١٩١٤ — ١٨، فان انتاجها من السكر هبط الى نصفه، ولم يكن باستطاعتهـا الوصول الى معدل انتاجها السابق قبل عشر سنوات. اما في هذه الحرب، فقد حل بمعداتها الصناعية دمار عظيم، وصناعة السكر، في هذه الايام، في ركود بوجه عام، ومعظم اللوازم الضرورية لزراعة الشمندر، كاليد العاملة، والسماد، وفوق كل شيء، الفحم، مفقودة.

ان اعادة انتاج السكر في القارة الى ما كان عليه هي قبل كل شيء، مشكلة تتضمن اعادة الصناعة والنقل، وخصوصاً الصناعات الكيماوية ووسائل نقل الفحم، الى ما كانت عليه. ولو اننـا اتخذنا طرق هذه الاعادة التي استعملت بعد الحرب العالمية الاولى، لاحتاجت بعد هذه الحرب الى سنوات عدة.

وهذا لا يعني ان النقص العالمي في السكر يحتمل ان يكون طويل الاجل. فبعد تحرير جاوى، وعودة الصادرات من جزر الفيليبين الى طبيعتها، يجب ان يتوفر من السكر كميات تفي بأقل حاجات القارة الاوروبية. وقد تنتهي الضائقة بعد سنتين، ولو ان عودة البحبوحة قد تحتاج الى مدة اطول.



من وحي الصيف

بقلم عبد اللطيف شرارة

*

لا شيء يرد الى نفسك شعورها بمعاني الحياة العميقة ، ويملؤها من احاسيس القوة ، ويفيض فيها الوان الخيال النير البديع – لا شيء يؤدي هذه المهام كلها بحكمة واتقان كالانتقال من مناخ الى مناخ ، او من بيئة الى بيئة ، او من حالة الى حالة ، فانك حين تنتقل بملء اختيارك وارادتك ، يكون انتقالك استجابة لحافز روحي بعيد كان قد بلغ مداه في قرارة حياتك النفسية ، وافرغ المجهود في توجيهك ، وحولك في النهاية من انسان الى انسان آخر ، بيد ان الانسان ، كائناً من كان ، لا يعي من تقلباته الفكرية ، اذ لا يتأتى له ان يراقب نمو عقله وهو ينمو ، ولا يتاح له ان يتملى من تطورات ذهنه وهي تتطور ، فهو كل آن يحسب في كل موقف يتخذه من الناس والحياة والكون انه مصيب فيما يذهب اليه من افكار ، وان تضاربت افكاره بين زمن وزمن ، واختلفت بين ظرف وظرف ؛ ومن ثمة ، كانت علامات النضج العقلي منحصرة في هذه الحالة النفسية العامة التي يبدو بها المرء رحب الصدر ، مشرق الديباجة الروحية ، سامي النظر ، فلا يطمئن لرأيه عنوة عن آراء غيره ، ثم لا يحاول ان يفرض بالقوة نظرية استقامت ادلة صحتها ويبدو الى ذلك ايضاً ، حازماً في العمل ، جريئاً في المنطق ، ماضياً في تنفيذ ما يعتقد انه الصواب .

والانقلاب النفسي او تحوّل الانسان – وهو أغلب ما يكون في حالات الدين – الذي يتمثل في نقض الاحكام ، وفسخ العزائم ، والرجوع عن رأي الى الأخذ بغيره ، ونبذ خطة وانتهاج اخرى ، يلبس غالباً ثوب « الطفرة » ، وما هو من الطفرة في شيء ، لانه لا يتم الا بعد تفاعل العوامل الاجتماعية ، والتجارب الشخصية في نفس صاحبه . ولا تتضح تلك العوامل ، الا بعد الانتقال ، اي بتغيير البيئة والمناخ .

وانت اذا تدبرت تلك الحالة النفسية التي نسميها « النضج » تجد انها متناقضة الجوانب ، وان تداعمت جوانبها ، وتجد ان السلبي والايجابي من الصفات الخلقية يلتقيان بها في نقطة واحدة ، ويتعاونان على ايجادها ، فالحزم في العمل يناقض المشورة ، وايثار عقيدة معينة يناقض احترام عقائد الآخرين ، والجرأة في القول تناقض التواضع ، والنضج لا يتم الا باجتماع او امتزاج هذه الصفات المتناقضة .

لذلك ، يصعب على جمهرة الناس ان يفهموا الناضجين من رجال الفكر والدين والسياسة ولا يتاح لهم ان يقدروهم حق قدرهم ، فيقعون اكثر الاحيان في اتهامهم ، والزراية بهم ، والنيل من اخلاقيتهم . وقديماً قيل : « لا يعرف الفضل الا ذووه » .

ولكن ذوي الفضل انفسهم متخاذلون فيما بينهم تخاذلاً لا يقل عن تخاذل النفعيين من دهماء العامة ، حتى لتجد الخصام بين مفكر ومفكر ، او بين أديب وأديب ، او بين عالم وعالم اعنف من خصام الساسة والتجار واصحاب الحرف . فاذا أشرفت على هذه الفوضى في المبادىء والعقائد والاخلاق أيقنت ان لا رجاء في تقويم الانسان .

تلك هي المشكلة الكبرى في الاجتماع الانساني ، وليست هي مشكلة عالمية الا بمقدار مـــا هي مشكلة قومية وشخصية وحزبية وعائلية . . . ولا احاول الآن حلها بمقدار ما اود ان اوضح وجودها ، فان هذه المشكلة هي هي التي بعثت في الارض فلسفة التشاؤم ، وهدّمت الشعوب والاسر في فترات من التاريخ ، ولا تزال تعمل عملها في جميع الرؤوس التي لم توفق الى حلها . . .

— ١ —

كنت في بيروت يوم احاط بي سوء التفكير في هذه المشكلة ، وبيروت في شهري ناجر [١] مدينة جهنمية تتخبط من ثقل الهواء وانصباب العرق وضوضاء العيش في ظلمة روحية لا سبيل معها الى راحة ، ولا وسيلة فيها لهدأة ، كأنما شياطين الفضاء ملكت عليها الهواء فاذا تنفست خرجت انفاسهـــا مثقلة بخوالج الضجر ، واذا تحركت كان نشاطها تعبيراً عن كسل مكبوت .

وسرى الضيق الى نفسي فنقلت لزوجتي مـــا اعانيه في هذا اللهب المناخي والفكري من شك ومرارة ، وعرضت عليها مـــا يساورني من هواجس ، فقالت : « مـــا لك وللانسانية ! فكر بولديك وما عسى ان تبذل من جهد لحفظ صحتهما في هذا الصيف ! »

هنا ادركت ان المشكلة التي تتعقد في ذهني يوماً عن يوم ليس لوجودها ظل في اذهان الآخرين رغم انها تقتات من جهودهم وتملأ اقطار حياتهم كما ادركت ان القسم الاكبر من الناس رأوا حلها في اهمالها فأهملوها وانصرفوا الى غيرها من المشاكل الحيوية المباشرة .

غير ان زوجتي توفقت بي حين ارادتني على ان اجاوز مـــا لا اطيق الى ما أطيق ، ولم تبلغ من السخرية ما بلغه ذلك الصديق الذي قال لي حين بثثته الشكوى : « عندما تنتهي من اصلاح الانسانية ارجو ان ترسل الي برقية تخبرني بالحادث السعيد ، لأهنئك بالفوز والسلامة » ! وهناك من ساقه حسن ظنه الى ابعد من النصيحة ، وأعمق من السخرية . . .

ولم اكن لأخوض في هذا الحديث مع السانح والبارح الا استكشافاً لما يرسب في أغوار هذا المجتمع من طرائق التفكير وعادات الذهن ، فاذا النواحي الشخصية هي كل ما يقض مضجع الافراد ويسير اعمالهم ويظهر في أقوالهم ، وليس لهم وراء « الشخص » غاية ولا فكرة ، فاذا كتب كاتب ، او خطب نائب ، او نظم شاعر ، او حدث تاجر وقف « ناسيـــا » في هذه البلاد ينتقدون الشخص ويسردون تاريخه ، يخترعون له الفضـــائل حين يرجونه ويهابونه كما يخترعون له الرذائل حين يكرهونه ولا يخشونه ، اما الآراء والاعمال والاتجاهات والمواقف الاخلاقية فلا يعيرونهـــا اهتمامهم الا في حدود ما تمس الشخص ، ولا يقيمون لها وزناً الا تزيناً وتحذلقا . . ولا ادري كيف حلت بنا هذه الكارثة العقلية !

والتمرد على هذه الاوضاع يكون في مثل هذه الحالات من أفن الرأي وخطل المنطق لان عزاء المصاب لا يقوم بلومه وتوبيخه ، والترفيه عنه لا يصح بتسفيه احلامه اكثر مما يكونان في تضميد جراحه والأخذ بيده وتحمل اخطائه ؛ فعدت الى نفسي ، افكر كغيري في شؤوني الشخصية .

— ٢ —

تركت المدينة وجئت الى المصيف ، تركت صيدا وجئت الى « جباع » . وجباع كون من هذه الاكوان الشعرية التي خص الله بها لبنان عنوة عن اقطار المعمورة ، نزلت من جمال الطبيعة منزلة الطبيعة من الجمال فهي قرية ، وكأنها آية فنية ؛ قامت على رابية من الجبال كأنها فكرة فوق الحياة ، وامامهـــا الهضاب والوديان والاحراج والسفوح والمنحدرات والقرى تتسلسل وتتابع في فلم لا نهاية له ، ذي صور رائعة التنويع والتلوين . تأخذ الالوان المختلفة بين لمحة الطرف وارتدادها ، حتى اذا وقف النظر في آخر الافق عند البحر البعيد ، تقع العين على الغيوم الساجية في مستهل الفجر ، الخافقة في ائتلاف الضحى ، المضطربة في شفق الاصيل . . وحواليها من الكروم والجنائن عالم اخضر الصبغة يموج من نضارته في ابراد النعيم على موسيقى الجداول وانغام الطير ؛ وللشجر في هذه المواكب من الجمال روعة تنهد حيالها روعة المباني والبيوت ، فلا تحس لما اقامه الانسان بقيمة ازاء هذه المنشآت الفخمة الساحرة من الغابات والخمائل .

وهناك ، في الجانب الايمن من جباع قبل ان تلجها ، جبل رفيع رفيع يقال له « صافي » ، تكاد حين تنظر اليه من الحضيض ان يزيغ بك البصر ، ويزل منك القدم وأنت مـــأخوذ بهذا العلو الشاهق ، مشدوه لما يكتنفه من وقار وصمت واشراق فلا تلبث ان تخشع وتحشم ذاهلاً عما حولك في غيبوبة من تأمل العلو ، وتأمل الوقار ، وتأمل الصمت . . .

اما الظلال فهي في دفء هذا البرد المنعش ، ابان القيلولة ، أجمل وطاء ، واجمل غطاء ، تأوي اليها فتحنو عليك ، وتمدك بنوع من الطمأنينة اللاغية العابثة تسمع لغوها في حفيف الاوراق وهينمة النسائم ، ويتجلى عبثها في تحولها عنك حين تطمئن اليها . . .

ولكل شيء في هذا الكون الشعري حياته واطرابه واشجانه

(١) ناجر : اسم علم لشدة الحر ، وشهرا ناجر ، هما : حزيران وتموز

فالسناجيب تتسرب بين اغصان الجوز ، والفراشات تحوم حول الازهار ، والعصافير تنقر ثمار الخوخ والتين ، والحيات تنساب وراء الحراذين في شعاب العوسج والعليق ، فاذا تلمست الحياة تمثلت هنا في هذه المخلوقات لا يفصلك عنها فاصل !

غير ان الحرية هي المعنى الاوحد الذي ينجلي امام باصرتك في مغاني الطبيعة ومجالي حياتها ، فاذا تسلقت ذروة جبل وعر ، او هبطت وادياً ظليلاً ، او سلكت في منحدر خطر ، او ولجت غابة كثيفة الالفاف عثرت على اشراق للحرية ، وعمل في سبيل الحرية ، ونضال من اجل الحرية ، فما من طائر يطير ، ولا من شجرة تشهق في الفضاء ، ولا من حشرة تدب ، ولا من نغم يرتفع الا ويشعرك بسعادة الحرية التي ينعم بهـا ، ويبعث فيك الحنين الى الصعود والصعود نحو العلاء ... نحو العلاء بحرية !!

– ٣ –

والجمال يهز ويوحي !

فأنت لا تستطيع ان تحتفظ بتوازنك الروحي ، حتى ولو كنت رصين المظهر ، كيّس التصرف ، حين تلتقي امرأة جميلة ، اذ لا بد وان يختل ذلك التوازن على شكل من الاشكال ، لان الجمال يثير في نفسك اشياء جديدة لم تكن لتثور فيها قبل ان تطيف به او يطيف بها ...

والجمال في الطبيعة غيره في المرأة فهو في الاولى يبعث على التأمل والتفكر ، ويغري بالصفاء ، ويحبب اليك العزلة والتفرد ، ويشيع في جوانب الروح الى ان تمتلىء به ويفيض عنها ، بينا هو في الثانية محض اغراء يتهجم ، وفي تهجمه سورة اعتداء ناعم ، فاذا استهوى واوغل في الاستهواء سبقت الى الذهن من تهاويله خواطر التملك ، فيود رائيه لو يملكه ... ويبدأ اول فصل من مأساة انسانية ! اما الطبيعة فلا يفكر احد في امتلاكها ، ولا هي توحي اليك بالرغبة في تملكها . بل يظل جمالها على قربه منك بعيداً عنك ، وعلى اغرائه لك رفيقاً بك ، كأنما هو يجذبك بالانفاس ، ويدفعك بالانفاس ، ويوجهك بالانفاس ، وكأن على الطبيعة ان تتنفس فحسب ، وعليك وحدك ان تفهم وان تمتثل .

وكان ان صعدت ذات يوم جبل « صـافي » لا للرياضة ولا للنزهة ، بل لامتع النظر بهذه المحاسن التي اوحت الي ان استزيد منها ، وحملت فيما حملت نظارة تقرب البعيد وتوضح القريب من المناظر ، وهناك ، هناك ... على القمة ، شاهدت ما لم اكن لاشاهده في الحضيض ، وادركت ما لم اكن لادركه في السفح ولا في الوادي .

واول ما ادركت هذا المعنى الجليل الذي لا يصح ان ننعته الا بالجلالة ، وهو « الرحابة » فقد احسست في ذلك الافق الرحب الذي تتسم به رقعة الارض ، ويسرح فيه النظر ، ويقترب من السماء ان لا فرق بين البيوت والسجون ، فكما ان السجين يعيش في ضيق مادي ومعنوي من جدران سجنه ، فان سكان المنازل – ولو كان المنزل « سراي » الحكومة – يعيشون في مضايق روحية من جدران منازلهم ومكاتبهم ! ثم ادركت كيف تنتقل الرحابة في الآفاق الى النفوس حيث تصبح تسامحاً ومحبة ، فان من يشعر بسعة المدى امام عقله في الحياة شعوراً قوياً واضحاً حتى ليحس بنفسه وهي تحيا من بعد موته ، لا يضيق ذرعاً بأخطاء الغير ، ولا يقيم وزناً لشتائمه واساآته ، ولكن هذا الشعور لا يواتيه الا حين يقف على القمة !!

وفي اشراق هذا التسامح ينطفىء « الحقد » ويمحي معنـاه ، فأنت لا تحقد حين يكون ذهنك غائصاً في صور جميلة ، هائماً في تعقب جمالها ، مشوقاً للتمتع برؤيتها ، عاملاً على التقرب منها ، اذ لا يكون لديك من الوقت ما تنفقه في غيرها من الصور .

ومذ تبلغ هذه الحـالة الصوفية او الشبيهة بالصوفية وتستقر عليها ، وتدأب على تحقيقها الى ان تصبح قلب قالبها ، تنكشف لك « الالوهة » هنـاك ، وتتحقق بنفسك من وجود « الله » بغير حجة ولا دليل ، فاذا اهتديت اليه سبحانه لم يبق امـامك من مشكلة ...

– ٤ –

نزلت من « صافي » ، وانا مستغرق في هذه الافكار ، ذاهل عن الماضي والحاضر والمستقبل ، ثم لا أذكر كيف عادت الى ذهني قضية « النضج العقلي » ومشكلة « الخلاف في المبادىء والاخلاق » فرأيتها مشكلة واحدة ، ووجدت حلها في ان يقف المرء على القمة ، وان يحاول ان يهتدي بنفسه لنفسه ، في جو من الرحابة التي تنكر التعصب ، وتأمر بالحب .

وما ان وصلت للبيت حتى كتبت لصديقي الساخر هذه البرقية :
« عندما يحاول كل انسان ان يهتدي وهو رحب الصدر ، تصلح الانسانية ، بشراك ... »

ولكنني طويت البرقية ولم ارسلها .

جباع ٨ آب ١٩٦٥ عبد اللطيف شراره

خيال وحقيقة

☆

لمّا شبعت من الهوى لمّا ... راح الحبيبُ يعدّني خصما
قلتُ الشباب مضى واستارى ... بعد الشبـاب من الهوى غنما
يا زهرةً ظمأى مباسمهـا ... بعدي النسيمُ يزيدهـا ثمّاً

قيل الاحبة للهوا خبري ... ظمأ وكنت اليهوو أظما
مرّوا على داري وغالبهم ... دمعٌ فزادوا غربتي غمّاً
همّي همو كانوا فهل كتموا ... حبي فصرت جزاءهم همّاً

روحي الى بردى عشيّته ... وعليه عين تلهفي ترمى
واذا رمى الصفصاف خصلته ... في النهر حرّان الصبا مغمى
ُلفي الضفيرة واشكلي زهراً ... فيها ، وكيدي الليل والنجما

ماضيّ طفّ كآبة وجوىً ... أني ورثتُ بوالدٍ يتما
لجنت عليّ الام باكيةً ... حتى فقدتُ على الصبا الأمّا
ولقيتُ وجهكِ فامّحى ألمي ... إلا بقية نفسيَ الكلمى

انا خاطرٌ تهفو هواجسه ... مهما كتمتِ مرامه مهما
من خمر عينيك رشف مكتئبٍ ... وجد السواد بجفنها كرما
رَوّ الخيـال تعشْ حقيقته ... فبه الحياة وان يكن وهمـا

القاهرة ... زكي المحاسني

الاستمتاع يطيل في عمرك !

بقلم

تشانج بولوك

◆

« لقد جمع تشانج بولوك ، الكاتب الاميركي والمحاضر والروائي الذي كتب ونشر ما يقرب من سبعة عشر مليونا من الكلمات في النصف الاخير من القرن الماضي ، بين التفنن العجيب والحمية التي لا حد لها ، والانتاج الرائع ، مما انزله منزلة سامية في تاريخ الآداب الاميركية . »

★

اخبرني جون اوهارا ، المؤلف والمحرر ، هذه القصة عن امرأة له بها علاقة متينة :

لقد كانت امرأة عجوزا ، كسيحاً ، لا تستطيع ان تتكلم او تتحرك . ومع ذلك فقد كافحت بشجاعة وبأس . والرغبة في الحياة ذادت عنها الموت . واخيراً اصابها مرض مؤلم ، سبب لها اوجاعاً متواصلة . فقال لها نسيبها جاك : « كلانا نؤمن بحياة مقبلة ، فلماذا تشتهين البقاء في هذا الجحيم ؟ »

فأطرقت المرأة العجوز برأسها ، وفي اليوم التالي اسلمت الروح .

انا لم اسمع في حياتي مثلاً اكثر سمواً من هذه الحقيقة : انطول اعمارنا يتوقف الى حد بعيد على رغبتنا في ان نعيش . لقد كان من المقرر ان تجري لصديق عزيز علي عملية جراحية شديدة الخطر . واخبرني طبيبان انه لم يكن من المحتمل ان يعيش اثرها . فأقمنا له حفلة وداعية فخمة اخذ صديقي من المتعة ابانها اكثر من اي شخص آخر ، ذلك بانه كان يدرك الحقيقة .

كان يضحك ويقول : « انهم لا يستطيعون ان يقتلوني ، فأنا احصل من الحياة على اكبر قدر من المزاح والضحك والسخرية ! » . وكان هذا منذ اثنتي عشرة سنة ، وكان ان اخطأ الطبيبان في تقديرهما ، وانا الليلة مع صديقي هذا اتناول طعام العشاء في المطعم، ونأمل ان نقضي المساء في احد ملاهي المدينة !

قال لي ، مرة ، الطبيب الشهير ، ادولف لورنز ، مازحاً ، ان جميع الذين وصلوا الى سن المئة ممن عرفهم كانوا يشربون ويدخنون الى اقصى حدود طاقاتهم جميعاً . ولست بحاجة الى ان اقول ان التمادي في الشرب او التدخين لا يطيل الحياة ، ولكن اهمية الملاحظة التي ابداها لي هذا الطبيب هي في ان الشرب والتدخين يدلان على الاستمتاع الذي هو معين الشباب الذي لا ينضب . ويمكنك ان تستعيض عنها بالطموح او بالاهتمام المهني او التجاري او بجمع طوابع البريد ، متى كانت هذه جميعاً تحملك على الانهماك الشديد . وهذا هو السبب في ان عدداً عظيماً من قادتنا الفكريين او السياسيين لا يعيشون طويلاً بعد اعتزالهم العمل ، ذلك بان كثيرين منهم قد اخفقوا في ان يزودوا انفسهم بعمل يستهلك من شوقهم واهتمامهم ما كان يستهلكه عملهم السابق .

ترك عمي عمله كمهندس لامع وهو في السبعين من عمره ، لينصرف الى علم الآثار القديمة . ولكن هذا لم يكن في نظره الا هواية مجردة ، في حين انه كان كلفاً بمهنته السابقة ، وعندما لم اتمكن من الذهاب معه الى مصر ، بقي في اميركا وهو لا يدري ما يفعل بنفسه . لقد كان عندما ترك مهنته نشيطاً معافى ، ولكنه بعد

سنوات تا. تحت عدم الرغبة في الاستمرار في العيش ، فمات .

انا لا أرجو ان تطول حياتي الا لاني اعتقد ان ايامي على هذه الارض قصيرة معدودة . وفي مدة لا تزيد عن نصف القرن كتبت ونشرت سبعة عشر مليوناً من الكلمات على وجه التقريب . استيقظ عند الفجر وبي رغبة ملحة في مكتبي ، تاركاً بريدي الى ما بعد طعام الفطور ، لان كل رسالة تقتضي من انتباهي ما يعرقل عملي الادبي كثيراً او قليلاً . انا اشتاق الى فطوري وغدائي شوقاً عظيماً ، ولست اخجل من ان اعترف بأن الاكل من احب الاشياء الى قلبي وابعثها سرورا في نفسي سواء كان لبناً او بطاطس على مائدة المطبخ او دجاجاً او اوزاً في احسن مطاعم العالم وافخمها .

وبعد الظهر املي الرسائل واتصل بالاصدقاء والزملاء . وليس بي حاجة الى ان اخبرك عن مبلغ حبي للناس . فكل اتصال مع اي فرد هو في اعتباري مغامرة ، وقد تكون قرأت ما كتبه وليم ليون عني انني « اعرف من الاساقفة واللصوص ، واللوردات ومنتعلي الجزم ، والرأسماليين والمغنيات ، اكثر مما يعرف اي انسان »

واما في المساء فاقرأ او اقصد الى احد المسارح . وانا افعل كلا الامرين بشوق ما بعده شوق ، حتى انني لا استطيع على فتح كتابي الجديد صبراً ، او ان ارى الستار يرتفع عن رواية جديدة . ولقد كان علي ، بحكم مهنتي كناقد ، ان اشاهد رواية كل ليلة من الليالي لمدة خمسة وعشرين عاماً ، ولا أزال افضل مسارح الغناء لانني اقع من الانتظار عندما يكون الضاربون يصلحون آلاتهم على متعة عظمى .

لقد كتبت كل شيء : قصص قصيرة ، وروايات ، واحاديث للراديو ، ومحاضرات ، واشعار ، ومسرحيات ، وروايات هزلية غنائية ، وروايات للسينما ، واعلانات عن الصابون ودعايات للممثلين وتكلمت في ما يقرب من ثلاثة آلاف جمع من الناس ، وسافرت الى كل بلد على الارض تقريباً ، وانا الآن في الخامسة والستين من عمري ، وليس بي اكثر من هذه الرغبة المتقدة في ان استمر في هذه الاشياء دونما انقطاع . لقد كنت دائماً موفقاً ، دون شك ، ولكن ما اصبت من الحظ لم يكن ناشئاً عن فطنة وهبتها او قوة دافعة منحتها بقدر ما كان ناشئاً عن حمية في ملتهبة لا يخبو لها اوار .

وصديقي هانكس ، الذي خسر عينيه ويديه في حادث انفجار ، هو مثلي نشيط متحمس وسعيد . ولقد هتف بي مرة ونحن في طريقنا الى (بيركانيون) في (اوتا) : « انظر الى هذه الجبال تغطيها اردية الثلوج ! » مع انه لم ير الجبال لثلاثين سنة خلت ! !

وعندما افكر في اولئك الذين يستطيعون ان يروا الجبال

والشمس ولا يرونها ، امتلىء دهشة وعجبا . ان من العجيب ان يكون اي فرد منا ضجراً ، او ان يكره على الحصول على اللذة في امتلاك العقارات ، في الوقت الذي منح فيه عالماً مليئاً بالحسن .

كتب الشاعر موريس ماترنيخ عن صباح كان فيه « على قمة من اجمل قمم العالم . . جنة من جنان الخريف . . تسابقت السيارات على طرق ثلاثين ، غير متوقفة او متمهلة ، ساهية ، كأنها لا تشتاق الا الى ان يفوتها هذا الجمال . » ولكن سيارة وقفت بالفعل ، وبرز منها الركاب ، ووقفوا ينظرون الى الدولاب المثقوب . ولم يخطر لاحدهم ان يرفع راسه ، وان يمتع ناظريه بالسماء الصافية الزرقاء .

مثل هؤلاء الناس مثل اولئك الذين نقرأ عنهم بالصحف ، او اولئك الذين يجوعون ويعرون ، واموالهم مكدسة في المصارف ، او مخبأة في غرفهم العارية !

اعرف حدثاً يريد ان يفيد اعظم الافادة من ثروته وقد كتب الي مؤخراً من باريس يقول : انا انتظر الربيع بفارغ الصبر ، فليس هنا ما اتمتع به الآن ، والمتع التي كثيراً ما وضعتها لي هي اليوم جزء من الماضي ، ولكني لا ازال اذكر ما اخبرتني عن الطرق عندما تزهر اشجار الكستنا ، وعن الشمس عندما ترسل اشعتها على ساحة الكونكورد ، وتستحم فيها الاشجار والاعشاب في الغابة . »

واعرف ايضاً اناساً يشيع الاستمتاع في نفوسهم الى درجة قصوى . فكم رأيت ، في الآحاد من ايام الربيع ، عمالاً تحيط بهم عائلاتهم ، يدفعون في اكثر الاحيان عربة فيها طفل ويقصدون الى الغابات حيث يقضون نهارهم كله . ولكن ايام الآحاد ، في نظر الكثيرين منا ، لا تعني الا النوم الى ساعة متأخرة من الصباح ، او قراءة الفصول المضحكة ، او الذهاب الى حيث لا يرغبون في الذهاب ، ليعودوا الى المنزل دون ان يكونوا قد رأوا شيئاً .

وانا اعجب ، كما يعجب الفيلسوف جون روسكن ، لما يفوت الناس من اشياء . لماذا يجب ان يرغب اي فرد في ان يعيش اذا كانت الحياة في نظره امراً يبعث على الملل . وحتى القليلين منا ، نسبيا ، يعون المتعة العريضة والاغراء الذين يمكن ان يقعوا عليها في الفن والموسيقى والادب ، او في الاهتمام الواعي في حكومتنا او مشاكلنا العالمية .

وفوق ذلك فانا اعرف رجالاً ونساء يعيشون سعداء في عالم من الكتب ، حدثني احدهم هاتفيا مرة والسرور يشيع في نفسه ، عندما اكتشف مؤلفا لم يكن معروفاً لديه من قبل . ومنهن امرأة من معارفي ، مضت على كساحها اعوام عديدة ، تنقب في الماضي بشوق عظيم ، وتنصرف اشهراً الى درس قرن واحد ، حتى اذا انتهت من هذا الدرس انتقلت الى قرن آخر . وقد اخرجتني هذه الصديقة مرة من فراشي ، حيث كنت اقرأ لهربرت سبنسر ، لتسألني اذا كنت قد سمعت بجورج سيمنون . فاجبتها : « هو كاتب رواية بوليسية فرنسي . اليس كذلك ؟ » فقالت بفخر : « كان يمكن ان اجيب بهذا امس . ولكني عثرت منذ برهة على رواية من تأليفه فيها معالجة للخلق ، والتفاهة الانسانية . »

ان اسعد رجل ، في نظري ، هو ذلك الذي يسير ، كما تسير السيارة ، بسلسلة من الانفجارات الداخلية . وانا ، كما كنت من قبل ، افضل ان اخطىء وانا متقد متهب ، على ان اصيب وانا فاتر بليد . » ان زوجتي تقول انني ألعب الورق او التنس كأنما وجودي متوقف على النتيجة ، وان كتابة مقال من مئتي كلمة لمجلة قليلة الانتشار تحرك فيّ الهمة والنشاط الذين بدأ بهما داروين بحثه في (اصل المخلوقات) . قد تظن ان بي مساً من الجنون ، ولكني ادعو ما بي (الحمية) . استطيع ان استمر في هذا الكلام دونما توقف الى الابد ، وقد يلح كثير من القراء على ان استمر . وعلى كل فان كلامي هذا لا يمكن الا ان يكون ذا جدوى ، لان الحمية يمكن ان تكتسب .

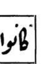
يخيل الي ، اولاً ، انها نوع من الفهم . فالرجل الذي يلم بفن البناء لا يمكن ان يتطلع الى كنيسة القديس بطرس دون ان يبتهج ، وهذا ينطبق تماماً على كل شيء آخر ، وانها ، ثانياً ، نوع من الملاحظه الحقيقية المعنى المطروق . انه المعنى المطروق هو الذي نحصل منه على اعظم قدر من المتعة . فانا لا استطيع ان افهم لماذا نبني التماثيل للمحاربين ، ونتجاهل من يخترع نوعاً من انواع المآكل . انك عندما تتعلم ان تنظر الى كأس من الماء كأنه نعمة ، والى ورقة من اوراق الشجر كأنها معجزة ، والى الحب كانه كلاهما معاً ، تكون قد سموت في طريقك الى العيش الطبيعي الصادق . وما عيشك من دون متعة خاصة الا كأكلك غداء رديء الطبخ وانت شبعان .

لقد اعلنت باخلاص في كتابي « مغامرات رجل سعيد » منذ مدة انني لم اكن شقياً في يوم من ايام حياتي . ولقد بدأت بعدها ان اشقى . ولكني كنت دائماً ، قبل ان ادع السعادة تفلت من يدي ، اسرع الى رؤية نعجة مع صغيرها ، او الى الامواج تتكسر على الشاطىء ، او الى ان اسمع صوت زوجتي في المطبخ . وعندما لا يكون في مكنة هذه الاشياء ، والوف غيرها ، ان تبهجني ، ارضى بأن اطرق برأسي ، كما فعلت صديقة جاك ، وان انتقل الى عالم آخر !

في القهوة

بقلم عبد المعطي المسيري

•



جماعة من الرفاق ، جمعتهم غاية واحدة والف بين قلوبهم غرض واحد هو هواية الادب والرغبة في الدرس والتحصيل .

وكانوا يختلفون الى القهوة لا للتسلية وتزجية الفراغ بالوسائل المألوفة ، بل ليحطموا رؤوسهم بالكتب والكتاب .

وكانوا يتناوبون القراءة فيتلو احدهم جزءاً من هذا الكتاب ويقرأ آخر فصلا من تلك المجلة ثم يردفون القراءة بما يحلو لهم من نقد وتعليق ، ويظل هكذا حالهم حتى منتصف الليل فيبارحون القهوة ويذهب كل منهم الى بيته مصدع الرأس، موهن الاعصاب .

وحدث ذات مساء ان تخلف احدهم عن الحضور وكان قد وعدهم بكتاب حديث لكاتب يحبونه فمكثوا ينتظرون الرفيق والكتاب .

وطال انتظارهم فحاولوا التلهي بورق اللعب وغيره من معدات اللهو والتسلية ، ولكن هوايتهم القديمة للادب احبطت مساعيهم ولم تجعل لاية لعبة مكاناً في نفوسهم .

وطال الانتظار فزاد ضجرهم وتبرمهم وطاف برؤوسهم خاطر واحد : كيف يقضون هذا المساء ؟ واخيراً فتح الله على احدهم فقال :

ارى شيئاً من اثنين : اما اننا اسأنا فهم الادب ، واما ان الادب افسد علينا الحياة ، والا فكيف يضيق افقنا الى هذا الحد؟ اليس في الحياة شيء آخر يستحق النظر والتفكير ؟ هل الحياة مجرد قراءة او سآمة ، ولا شيء غير القراءة او السآمة؟؟ ان الكون يزخر بالمتع واللذائذ ، ويضطرب المد والجزر وينطوي على الكثير من الجمال والجلال ، ويكمن فيه ما لا حصر له من الاسرار ، ولكن عيوننا ألفت ان لا ترى هذه الاشياء الا تحت حروف الكتابة ورؤوسنا التي اكتظت — في زعمنا — بالمعارف والفنون تضيق فلا تتسع لفهم الحياة على الوجه الصحيح .

وسكت «صاحبنا» اذ قاطعه احد الرفاق بقوله : «فلسفتك» هذه تضاعف سؤمنا وضجرنا لانها تفتح اعيننا على ساحة عريضة من الحيرة والارتباك ولسنا بحاجة لمن يغضنا بذكر ما دفعناه ثمناً لادمان القراءة وكما يقول المثل : «كنا في الهوى سواء» فان كنت قد وقعت على ما يمسح الكآبة ويستل الضجر والسأم فهات ، والا فمن علينا بالسكوت»

فاستدرك «صاحبنا» على حديث رفيقه قائلا : «او تحسب ايها الرفيق انني قلت ما قلت بدافع العبث ؟ لقد وقعت على اشياء واشياء . في لحظة واحدة تجلى انفس سخف امعاننا في القراءة واسرافنا في ذلك اسرافاً جعلنا لا نحفل بالحياة ولا نشهدها وكبها الا تحت حروف الكتابة . في هذه اللحظة عرفت شيئاً عظيماً الخصه في هذه الجملة : الحياة شيء ليس في الكتب»!!

وعندئذ صفق له الرفاق وقال بعضهم (وبعد ؟ ؟)

فأجاب : نحن في قهوة ، اليس كذلك ؟ ؟ .

فرد اكثر من واحد على سبيل المزاح : «لا» فلم يحفل «صاحبنا» وعاد الى الحديث : «قلت اننا في قهوة . يشاركنا في السمر فيها عشرات من الرجال، لكل واحد منهم فكرة ، ولكل رجل مثل ، ما يقره هذا ، ينكره ذاك ، كل منهم يرى الامور على قدر مزاجه وتفكيره ، ويحكم عليها بالقياس الى نفسه ، ويخلع عليها الصفات التي تناسبه ، هنا لا توجد حقيقة مطلقة ، وانا يتحقق قول الفيلسوف الفرنسي الذي قرأناه بالامس «حقيقة هنا ، خطأ وراء البرينيه» هنا يجلس الناس قبالة بعضهم يلعبون ويتناقشون فيخيل لنا انهم جميعاً سواء ، وانهم قد نفضوا عنهم اعباء الحياة ، على حين لو فتشنا في نفوسهم لرأينا لكل نفس «كاميرا» خاصة

تصور الحياة وتتلقاها وتعرضها على النحو الذي يلائمها . « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » فهل فكرنا مرة في التحدث عن هذا والعناية به ؟

فرد احد الجماعة : « هذه امور من البداهة بحيث لا تحتمل التفكير فاذا حاولنا الكلام عنهـا عد هذا ضرباً من الجدل البيزنطي . . .

وقال آخر : « لم يبقَ الا ان يحدثنا الرفيق عن المنـاضد والمقاعد فيزعم انها ايضاً تفكر وتناقش وان لها آراء ومثل تتعارض مع آرائنا ومثلنا فضلاً عن تعارضها مع بعضها . . ! ! ؟

فأجاب صاحبنا : « كنت على وشك ان اقول هذا ، وهل يستطيع خيالنا ان يسمو فيدير حواراً بين مقاعد القهوة ومناضدها ، فنسمع هذا « المقعد » يحكي لزميله مـا وقع له بالامس وتلك « المنضدة » حاقدة على زميلتها العامرة بالسمر . وتحقق في شكاية « المرآة » من هذا الثقيل الذي وضع معطفه على المشجب على نحو يحجبها عن الانظار . وما الى ذلك ؟ ؟ ومن ذا الذي لا يتوق الى التفوق في الكتابة « الرمزية » حتى يوفق فيهدي الى المكتبة العربية كتاباً رائعاً كهذا الذي قرأناه منذ اسبوع للكاتب المجيد « هانس اندرسون » وما دمنا نعجز عن البحث في خفايا النفوس ولا نستطيع الكشف عن الرموز فليس اقل من ان نلاحظ المكشوف .

وفي هذه اللحظة دلف الى القهوة « عريس » تحف به بطانته ، واخذ مجلسه في الصدر كالعادة وحدثت في القهوة حركة غير عادية فهذا الصبي احضر طاقتين من الورد الذابل الذي وضع امام اكثر من « عريس » وصبي آخر جاء بآنية من الفخار ملأها فحماً متقداً حتى اذا وقف امام العريس نثر فوقها البخور . وجعل يحركها ذات اليمين وذات الشمال وهو يصيح : « صلاة النبي احسن ، النبي سعيد » . .

ووجد « صاحبنا » في هذه « الزفة » مادة للكلام فغمز بعينه ناحية العريس وقال : لقد شهدنا الكثير من امثال هذا ، فهل شغلنا انفسنا مرة بما يدور حوله وما يقال له ؟ ؟ وما يخطر ويضطرب في رأسه ؟ ؟ انظروا كيف يجلس متزمتاً يتصنع الوقار والرزانة حتى ليبدو كأنه تمثال من الرخام ! . اذا عليه لو ترك كل شيء على طبيعته فجلس في مكانه كما كان يجلس بالامس وكما سيجلس في الغد ؟ ، ولماذا يحجر على ملامح وجهه فيجعل عينيه لا تطرفان ، وشفتيه تزمان على هذه الابتسامة الميتة المتكلفة ؟ ؟ لعلهم حين قالوا ان « ليلة العرس ، لا تحسب من العمر » قدّروا ما سيكون عليه العريس من جمود ، وما ستمنى به ملامحه من شلل فاشفقوا على العمر ان تحسب منه هذه الليلة ! ! لو كنت في بطانته لجعلت الامور تجري في غير هذا المجرى ، ولحدثته عن شيء آخر غير تلك القصة التي تزعم بان عريساً قتل قطة اعتدت على طعامه ليرى زوجه مبلغ خشونته والتي يلخصونها في قولهم : . . « بسك من ليلة عرسك . » ! !

ثم انتقل « صاحبنا » فأدار الحديث عن المنضدة المجـاورة للعريس ، وكان يجلس عليها رجل يكركر في شيشته ، وكان قد جعل ظهره للسامرين واتجه بوجهه الى الشارع ، وكانت يده لا تفتر ولا تثنى عن الحركة ، فمرة يفتل بها شاربيه ، ومرة يصلح بها منديل جيبه ، وينقلها من المنديل الى رباط الرقبة ، ثم الى الطربوش . اما بصره فيختلج في الطريق ثم يستقر على الحائط المجاور للقهوة .

لحظ « صاحبنا » هذه الحركات فاشار لاخوانه وقال : « انظروا الى هذا ايضاً ! ! اقسم ان في الامر قصة انظروا الى النافذة المواجهة ها هي تنفتح انظروا . . ها هي البطلة . . ! !

وسكت « صاحبنا لانه وجد ان الكلام لا يصلح في هذا المقام . . وان الملاحظة امتع من الوصف . . وراح الرفاق يرقبون ويتتبعون حركات القصة التي يقبع بطلها في القهوة ، وتطل بطلتها من النافذة .

وحضر الرفيق الغائب يتأبط كتابه فهتفوا به : « دع الكتاب . . في الحياة اشياء كثيرة ليست في الكتب » فاجاب قائلا :

حقاً يا رفاقي ، في الحياة اشياء كثيرة ليست في الكتب ، ما امتع ان يسير المرء والمطر يتساقط ، وما ابدع ان يشهد الانسان الطبيعة حين تنفلت من عقالها وتثور عناصرها لتعلن للكون عن روعتها وسلطانها ، لقد عودتنا الكتب الاحتماء بها فنحن نلجأ اليها اثناء البرق والرعد ونحسب ان في ذلك اماناً ومتعة فنحرم انفسنا من مشاهد الطبيعة الخليقة بالنظر والتأمل والتفكير .

وهنا يقول احدهم : « اظن ان الكتاب الذي احضرته معك يشير الى هذا فقد تحدث مؤلفه عن الطبيعة فاجاد في تصويرها ، فاذا علينا لو قرأنا وصفه وتصويره ؟ ؟ »

وهنا يصيح « صاحبنا » :

« يا هؤلاء ، لقد رجعتم الى ضلالكم القديم : ان من يعالج تأمل الاشياء ، وفهمها عن طريق الكتب كمن يريد ان يوقع على ناي من القصب انغام الفلك هيا بنا نواجه الطبيعة ، فنصـافح المطر بوجوهنا ، ونعانق الرياح بصدورنا ، وننصت الى العنـاصر وهي تنشد . هيا . . فالحياة شيء ليس في الكتب . . .

دمنهور   عبد المعطى المسيري

لا

.. لا .. لا يريد صاحبي ان يعترف بالذي كان بين ضفتي الزمـــان والمكان ، وبعد ان عرفت نسائم الصبح وشذى الورد ودموع النجوم وحانات المدينة ، لا لا يعترف .. فقد تغير حـــاله ، فلم يعد ذلك الفتى الضاحك الرافل ، الذي ملأ دائرته وما وراء دائرته بهجة وضجة وارخى على المجالس والاندية اسماً لا تنهض به سنوه العشرون !.

لا يريد ان يعترف .. بل يصر .. انه لم يغرم بها يوماً ..

ويغمره غروره الممتع فيزيد . هي التي اغرمت به .. كان حباً من جانب واحد .. ولن ينطفي، هذا الحب في صدرها يوماً ..

لماذا يؤكد ويقسم ويهتم ؟ .. ولكني المح في عيني صاحبي كذبة كبرى ما وراء ظل من الكآبة عميق ، كذبة على النفس والقلب وهما نهب واقع جارف تركهما على سراب !

ويغرق صاحبي وحالته تلك في عشرات الكؤوس يعبها عباً سريعاً ، فكأنه في معركة حامية الوطيس بين المنح والحرمان بين ما كان وما سيكون . عالمه كله افتراض وتخيل ، فلا تتعبه النقلة بين عربـــدة وصحو ، وسيظل كذلك يذرع احيـــاء المدينة ومقاصفها حتى انطلاق الفجر من سجنه الاسود .

فاذا انقلب الى بيته ، احكم اغلاق غرفته ، وتطفر عن عينيه دموع حارة تزلق على خديه في غير تمهل فهذا الوجه لم يعرف الاخاديد بعد .. ويستعيد في همس مسموع ، والشمس تضرب الحائط بيدها المذهبة ، يستعيد كلماتها الاخيرة اللامبالية ..

— اتريد ان تكلمه بعد نصف ساعة ، ان ج .. سيعود ..

وتعاوده الذكرى حارة ملتهبة ، وتطل هي بوجههـــا على حيرته ، وتفلت من اصابعه اذن الهاتف ، فتحدث دوياً على بلاط الحجرة البارد ، ويدوي في اذنيه من جديد صوتها هي في محادثة ثانية .

— ج .. موجود .. — لا .. ألم تعرف صوتي .

— آه فلانة .. — انا اراهن انك في الكأس التاسع ..

وتوالت المحادثات ، محادثات حارة عاشقة . كان ذلك في يوم ما من شهر ما في سنة ما ..

وتزأر المحادثات كلها مختلطة متشابكة في ليله ونهاره ، اسطوانة تدور في اعماق اذنيه .. صوت امرأة لم تكلم بحرارة سواه ..



وينقلب الى اوراقه ، يلون الحروف بدم هذا الحب ، وتكون تلك الساعات مخاضاً لهاتيك القصائد التي قرأها ويقرؤها الناس ..

يقولون عنه انه غير مفهوم ، ولا يفهمون من شعره الا قليلا ..

لا يكلف الله نفساً الا وسعها .. ترى افهم هو نفسه ؟.. كان يوماً على شاطيء الاستقرار ؟ . هذا الاستقرار الذي يخشاه ويحتقره .. فما ينبغي الاستقرار لاهل الفن ! .. كنت اجلس اليه وهو في مراتع طفولته فاعجب منه لاعتداده بكل ما يقول ، وشهدت كيف استعجل رجولته استعجالا . ولكنه سيظل في نظر نفسه طفلا .

ولا استطيع عرض قصته على نحو مسلسل ذي نسق لا شيء ..

الا لانها قصته .. هو يريدها هكذا ، ذات ثغرات يغشاها مـــا يغشاها من الابهام ، وهو نفسه قد قصها علي في فترات متبـــاعدة متفاوتة ، مختلفة الزمان والمكان ..

اثرت فيه تلك المرأة تأثيراً عجيباً .. عصفت به عصفـــاً .. جعلته ريشة في مهب رياح كلماتها ذات الرجع البعيد . وكان خياله ينسج لكلماتهـــا اطاراً من الحب والرغبة .. وكان اذا جلس اليهـــا التهمتها عيناه في نظرة واحدة ، عدسة التصوير ، حتى اذا خرج ذكر كل شيء ، لون ردائها ، اقراط اذنيها ، شكل شعرها ، نوع العطر المفضل عندها ، ويذكر فوق ذلك كل كلمة قالتها له ولسواه ..

وهكذا كانت الاسطوانة تتسع وتتضخم لاستيعاب كل كلمة بعد كل لقاء . وذات مساء ، قالت له : ايهما تفضل ام كلثوم ام عبد الوهاب ..

— فاستخار الله ، وحار واستمهل ، وتظاهر بأنه لم يسمع .. هو لا يريد ان تزل به كلمة .. واعادت الكرة في حدب على اسم ام كلثوم فاجاب على الفور ! ام كلثوم .. وفي تلك الساعة تذكر انه من عشاق « الصناجة » ..

اطربها ذلك وشاع في عينيها الرضى ، وحسب نفسه انتصر .. لقد كان مريضاً من طراز خاص ..

واليوم وبينه وبين تلك المرأة ابعاد قريبة بعيدة ، مـــا تزال الاسطوانة تدور .. ودوي الصوت كلمة كلمة يهز كيانه هزاء ..

ومع ذلك يصر صاحبي .. انه لم يغرم بها يوماً ...

صلاح الاسير

انطـــلاق

٥

اسعد النـــاس ، مُهمِل ، مهمَل ، مـــا له احد
ابيض النفس ، كالضحى ، لم يلوّثه معتقد
ابيض العيش ، مطلق كالرياحين ، والابد
بين جنبيه داره ، حيثما سار ، والبلد
جهل الحب فاستراح ، والصداقات ، والحسد
اغلق القلب ، وانطوى – ملء دنياه – وانعقد
فاذا هزه هوىً ، نفض الجرح ، وانجرد(١)
واذا فحّت المنى ، اطفأ النـــار ، وابترد
عـــالم النـــاس واحد ، وتعـــالى عن العدد
تب من قـــال بالحدود ، عـــالم الحر ، لا يحد
اسعد النـــاس ، مهمل ، مهمل ، مـــا له أحد

(١) انجرد من ثيابه ، تعرى ، ومن جرحه ، نصل .

افـــــلاس

٥

الآن ، اصبحت انساناً من الناس ،
وطأطأتُ كبريائي ، وانجلى ثملي ،
تألهتُ ، أمس ، نفسي ، غير صاحية ،
لو تعلن النفس افلاساً ، وقد ذهبت ،

وانحل ذاك الاباء الصم في اليأس
وماتت الكأس ، ما الدنيا بلا كاس ؟
واليوم ، حين صحت ، عادت الى الناس
في زحمة العيش ، قد اعلنت إفلاسي

حمص

وصفي قرنفلي



منبعا الاخلاق والدين

لبرغسون – ترجمة الاستاذين سامي الدروبي وعبدالله عبد الدائم – مكتبة نهضة مصر – القاهرة

اذا ذكرت الفلسفة في هذا العصر تبوأ « برغسون » المرتبة الاولى ، لانه كان رسولها الاول وعقلها النير . لقد كان فيلسوفاً واحداً في فلاسفة . اذ اجتمعت فيه تعاليمهم الاولى ، ثم استقرت الى عبقريته الفذة . قد اعتبر الحياة ، ووجدها جديرة بالحياة ، وأكب على تفهمها ، ولم يربه هذا الابهام الذي يحيط ببعض مسائلها المظلمة . فكان يعمل على حلها بعقله وايمانه . وليست قيمة الفلسفة الحقيقية – كما يقول بول فاليري – الا في قيادة العقل الى نفسه وجهد آخر ، او قل ، مزية اخرى لبرغسون انه اخضع لفلسفته اسلوباً بيانياً مشرقاً اشراق فلسفته وعقله . ولا يزال البيان المشرق مسألة لها قيمتها في الرسالات الفلسفية نفسها وكثيراً ما عمل الشعر في الفلسفة فلم يزدها الا قوة . وبرغسون اطاعته صور وتشابيه وتعابير زادت في قوة اكتشافاته النفسية .

ومن الحق اننا اذا اردنا نقل برغسون الى اية لغة كانت كان من الجدير بنا ان نصون هذا البيان بقدر الامكان .

وطالما كنت افكر في ضرورة نقل برغسون الى العربية لانه يحمل في نفسه مدرسه تطورية تهز العقل والروح . حتى وقع لي هذا الكتاب « منبعا الاخلاق والدين » وليس البحث في الاخلاق والدين جديداً ولكن الجديد ان يحدثنا « برغسون » عنها بعقله وروحه . ويبدو ان المعربين ماضيان قدماً في تعريب بقية آثار المؤلف . وهو جهد محمود ، لان الشيء الذي اقدما عليه ليس بالهين : وانما هو جهد لا يحسه الا من عانى ترجمة الاثار الفلسفية ، وهو متشبث بأمانة النقل .

لا استطيع ان احكم على الترجمة وامانتها الآن ، لان الاصل بعيد عن متناول يدي . ولعل لي رجعة ثانية الى هذا الغرض . ولكني وقعت في الترجمة على فصول مغرية نقية ظاهرة الغرض . وعلى فصول او مواقف متلجلجة ، مبهمة ، بدا لي ان المعنى لم يستقر واضحاً عند المعربين . وبعد هذا وذاك لي رجاء الى المعربين ان يزدادا اعتناء «بالبيان» والاسلوب في كتب « برغسون » الاخرى . لان اهمال ذلك اهمال لاكبر ما يتحلى به برغسون من روح شعرية شفافة ، ومذهبية فنية عميقة . على ان هذا كله لا يمنع من ارسال الشكر على هذا الجهد الحميد الذي بدأ ينصب عليه شبابنا السوري في حياة التفكير الحي .

حلب خليل هنداوي

هتاف الجماهير

للاستاذ أمين يوسف غراب – ١٧١ صفحة – لجنة النشر للجامعيين، القاهرة

في نفسي شيء ، وقد انتهيت من قراءة « هتاف الجماهير » للمرة الثالثة ، شيء يحار بين الالم والامل ... الم يطالعك بصوره القاتمة الفاجعة هذه الصور الحية عن الفقر وضحاياه والجهل والحريصين على تمركزه في الطبقات الدنيا من عالمنا العربي ... وامل بقرب زوال هذا الكابوس يطالعك في حدب صاحب « هتاف الجماهير » على هذه الطبقات وسبر غور آلامها ، وتقريبها الى القارىء في اطار يشرق بالحياة على ما يحتوي من موت واشلاء ....

اجل ! ... فثمة معضلة تخاف مواجهتها ، في عالم يتراكم على نفسه ، منقطع الصلة بقافلة العالم الراكض المجد في طريق حياة سعيدة لكل كائن حي . تخاف مواجهة حقائق تصدمنا في كل يوم ، في الريف الفقر والمدينة الداعرة ، اطياف تروح وتجيء ، يمر بها الصيف مرور الشتاء ، طوائف منبوذة ، لا تجرؤ على النظر الى الاسياد في ابرادهم الباذخة وكبريائهم المريضة ..

ولكن القاص المصري الاستاذ امين يوسف غراب ، الشاب الهادىء الوادع ، الذي يخفي ما وراء صفاء عينيه ، ثورة جيل ، ووثبة طليقة متحررة ، قاسى في الريف المصري مع الطوائف المنبوذة كثيراً ، تعرف الى همومها ، ووقف على مآسيها ، وكشف القناع عن مؤامرة ابقاء الفقر والجهل في الذين يؤلفون ثمانين بالمائة من المصريين ...

واحتدمت في قرارة نفسه هذه المشاعر مختلطة متشابكة ، هي ليست مصيبة مصر ، بل مصيبة الدنيا العربية ... لذلك آثر ان يلقي بصرخته في الاجواء عالية مدوية ، فما ينبغي للامة التي

ترقب مكاناً تحت الشمس ، ان تسير بربع سكانها فقط الى ذلك المكان . . .

و « هتاف الجماهير » مجموعة قصص ، في كل واحدة مأساة ، يتوزع الرضى والغضب بين اشخاصها توزيعاً كله حقيقة منتزعة من حنايا الواقع ففي قصة « افراح السماء » بائسة يبرح بها الجوع ، تعاني آلاماً نفسية وجسدية الى ان تدفع بها يد القساة الى الموت جوعاً ، وتنتهي القصة على نحو اسطوري في حلم يحمل السعادة بعد الموت الى البائسة التي حرمها الناس من لقمة الخبز . . وفي « السيد » صورة للاقطاعية ، وتحلل النظم في القرية ، نكران وجحود ، قسوة وسيطرة ، اقطاعية تعدو حتى على حق الضعيف رغم ما بذل ويبذل ، وتجاهل لما كان وما سيكون . . .

و « صفقة رابحة » تشبه الى حد كبير « السيد » وتتجه معها اتجاهاً واحداً يحمل في اعماقه كرهاً لعبودية مفروضة ، ووجاهة جاهلة موروثة . . .

وتجري قصصه كلها على هذا النحو البارع ، في نقل صور البؤس وقضايا الناس من الحياة الى الورق نقلاً كله براعة وصدق .

اما الاسلوب فسهل يتسلسل قصصياً رائعاً في غير تمهل حيث تنبغي السرعة ، وغير سرعة حيث ينبغي التمهل . . .

والحق ، ان كتاباً هذه بعض حسناته جدير بالاقبال عليه والاستمتاع به والافادة منه .

ص ١٠

الشيخ قرير العين

للاستاذ كرم ملحم كرم – ١٢٨ صفحة – سلسلة « اقرأ » – القاهرة

نظيرة ، ابنة سليم العياش من سكان بيت مري ، فتاة فارعة الجمال ، على خفض في العيش احبها عدو اسرتها بهاء غندور ، واحبته على خشية . بيد انها كانت في حيرة مرمضة بين ان تستجيب لهوى قلبها او ترعى حرمة « العداوة » مرضاة لوالدها الشديد الشموس . ورأى بهاء ، ذو المحتد والثراء ، ان يتطامن لعدوه سليم ابتغاء الزواج من ابنته ؛ ولكن الاب رفض وتكبر ، واوعد ابنته وتهددها بالقتل ان تكون لها صلة ببهاء ؛ وكان يبغي ان يزوجها بابن شقيقته نصير المهاجر الى اميركا مع شقيق نظيرة . وحاول بهاء ان يتعزى من حب نظيرة فلم يتح له هواه المتمكن الشديد ان يساوهما . وطغى عليه حبه ، فارسل خادميه يخطفانها ويحملانها الى بعض املاكه في البقاع حيث حاول ان يقنعها بأن ترضى به زوجاً ، فلم تلن ، وظلت مصممة على الا تصله ما دام والدها لا يرضى بهذا الزواج . وراح الوالد يقلب الارض بحثاً عنها والاسى يفت في عضده ، والغيظ يحز في صدره ، والثأر تلتهب به عروقه ، فلم يهتد اليها ، وارسل الى ولده وابن شقيقته يستدعيهما من اميركا لغسل العار الذي عجز هو عن غسله . . . وظل بهاء ، طوال ثلاثة اشهر يقنع نظيرة بالزواج ويعللها بمعسولات الامال ، فما تزيد الا صداً ونفوراً وتلح عليه ان يطلقها الى بلدتها حيث تستعيد رضى والدها الشيخ ؛ فينزل عند رغبتها ويكلف خادميه باعادتها الى بيت مري يائساً قنوعاً . وقبل ان تصل القرية ، يصلها المهاجران من اميركا ، وحين تبرز لهما يحثهما الوالد على قتلها ، فاذا بالعاشق المعذب بهاء ، يصل مجنوناً ، ويطلب ان يُقتل هو ، وان يعفى عنها هي البريئة ، فتطلب هي الطلب نفسه ، ولكن شيئاً لم يكن ليثني الوالد عن عزمه ، فاذا هو يأمر ابنه وابن شقيقته ان يقتلا الاثنين معاً : نظيرة وبهاء ، فينفذان امره ، وعند ذلك يصبح الوالد الشيخ قرير العين .

هذا ملخص رواية « الشيخ قرير العين » للاستاذ كرم ملحم كرم ، القاص اللبناني المعروف . والكلام عن هذه القصة ومعالجة القاص لابطالها وقضاياها ، انما هو كلام عن قصص المؤلف كلها واسلوبه فيها ، وما يمتاز به من قدرة على التحليل العميق ، وافاضة في وصف المواقف العاطفية . وقصة الشيخ قرير العين اوسعت للمؤلف المجال لان يستخدم هذه الاداة الطيعة التي يملكها ، فالاب الذي يصر على الثأر والانتقام ، والابنة التي تذل له فتخنق حبها المشبوب ، والفتى المضطرب الذي يرمضه اليأس ، والتضحية بالفتاة والفتى التي يختتم بها القصة ، كل ذلك ساعد المؤلف على البراعة في التصوير باسلوب مجيد رائع ، بالغ اقصى غايات الجمال والشاعرية والعذوبة ، وبلغة رائعة الديباجة ، متينة التركيب ، تمتزج كل كلمة فيه بالاخرى امتزاجاً غريباً مدهشاً ، فيؤلفان وحدة منسجمة قوية .

النحو الابتدائي

الجزء الاول – ١٠٦ صفحات – مكتبة منيمنة بيروت

صدر في بيروت سلسلة جديدة في الصرف والنحو لثلاثة اساتذة مدرسين من خيرة الاساتذة عندنا هم الدكتور عمر فروخ استاذ الفلسفة والادب العربي في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت ، والاستاذ منير البعلبكي استاذ اللغة العربية والادب العربي في مدرسة البنات الاهلية في بيروت والاستاذ نبيه حجاب خريج دار

العلوم المصرية في القاهرة وعضو البعثة المصرية الى كلية المقاصد في بيروت .

هذه السلسلة « النحو الابتدائي » تتألف من ثلاثة اجزاء يتدرج الطالب على اساسها حتى يختتم بها الدراسة الابتدائية ، وقد جمع له المؤلفون كل ما يحتاج الطالب اليه مبسوطاً على احسن وجه .

ومن يطلع على الجزء الاول الذي صدر في هذا الشهر يتبين له ان المؤلفين قد استفادوا من اختبار من سبقهم فجاءت الدروس في كتابهم متدرجة تدرجاً تصاعدياً يكاد يكون تاماً ، وكذلك تمتاز هذه السلسلة بالامثلة المادية القريبة من عقلية الطلاب والمتنوعة تنوعاً تشمل اوجه الحياة التي نحياها اليوم .

ومن خصائص هذا الكتاب انه يسهل مهمة المعلم في الدرجة الاولى ويدل في باب الملاحظة والاستنباط على قواعد الصرف والنحو ودقائقها دلالة واضحة . اما القواعد فقد بناها المؤلفون على الناحية المعنوية لا على الناحية اللفظية من احوال الاعراب فقط ، ونستطيع ان نقول ان هذه ناحية جديدة بارزة . وهذه القواعد في هذه السلسلة موضوعة للفهم اكثر منها للحفظ غيباً .

ويجب ان نشير هنا الى ان بحوث الصرف وبحوث النحو ممتزجة على اساس التدرج المنطقي وحاجة الطالب معاً . اما انواع التمارين فكثيرة جداً تكفل للطالب فهماً صحيحاً شاملاً دقيقاً .

بقي علينا ان نشير الى حسن التبويب والعرض وهذا شيء مهم جداً من الناحية التربوية ، والى ان السلسلة ، بكلمة واحدة ، قد استفادت من كل ما تقدمها فاحتفظت بحسناته وتجنبت سيئاته ، ثم اضافت الى ذلك كله اختباراً طويلاً في تدريس هذين البحثين الجافين الصعبين .

وسيظهر الجزءان الثاني والثالث قبل بدء الموسم الدراسي الحالي .

رسائل ام

للاستاذ حافظ ابراهيم المنذر – ٨٥ صفحة – مطابع المعرض ببيروت

رسائل تقدمها ام لولدها ، توجهه وتعلمه وتبين له رأيها بالحياة والناس وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ، وعن شؤون اخرى قد لا يربط بينها رابط الا انها تهم الانسان وتشغل حيزاً من تفكيره . .

وهذه الرسائل اقرب الى ان تكون صادرة عن رجل قوي شجاع منها عن ام تفيض فيها عاطفة الانسانية وحنان الامومة ورقة النفس ، فالقوة التي تبثها هذه الرسائل في الابن ، والعنف الذي تنضح عنه ، والحقد على الانسان وكراهيته بعيدة ان تصدر عن قلب امرأة وام . . وما اظن الا ان هذه الام ، لو قرأت هذه الكلمات لانكرتها اشد الانكار ولتبرأت منها : اياك ان تعمل فيك الرحمة او ان يضعفك الاشفاق ، لان العاطفة الانسانية ، لا يمكن ان تنتصر الا اذا عبرت عن ذاتها ، والتعبير عن ذاتها لا يجدي الا اذا اقنع ، والاقناع لا يمكن الا اذا كان كلمة تفرض ذاتها ، والكلمة لا تفرض ذاتها الا بالقوة . . وهذا الحيوان الانساني ، سيبقى حيواناً لا يهدأ ولا يرضخ الا على قبضة قوية جبارة تنزل على رأسه ، فتفل منه الشدق وتحطم الانياب . . » .

نظرات في الصيام

للدكتور شوكت موفق الشطي – ٩٠ صفحة – دار اليقظة بدمشق

هذا بحث ضاف في كل ما يتصل بالصوم ، ألفه الدكتور شوكت موفق الشطي الاستاذ في معهد الطب بدمشق ، وتتناول فصوله الابحاث التالية : تعريف الصوم ، وتاريخه ، وتاريخه الطبي ودرسه الفني ، الصيام سنة الطبيعة ، الصيام وسيلة الجسم الطبيعية في مقاومة بعض الامراض ، حكمة الصيام الطبية ، صوموا تصحوا ، تأثير الصيام في النفس وامراضها ، نظرات فنية في طعام الصيام .

ويخاطب المؤلف قارىء كتابه بلغة التجارب والتاريخ ويناقشه بآيات الخليقة وسنن الطبيعة ويقنعه بفائدة الصوم واثره في الجسم والنفس ، اياً كانت ديانته ومهما كانت ثقافته .

قاموس الالفاظ البرتغالية المشتقة من العربية

للاستاذ راجي باسيل – صدر منه ثمانية اجزاء – ريو دي جانيرو

يصدر منذ عدة سنوات مواطننا اللبناني الاستاذ راجي باسيل عضو المجمع اللغوي البرازيلي ، معجماً للالفاظ البرتغالية المتحدرة من اصل عربي ، ينشره في اجزاء متتالية . وقد صدر منه في مدى اربع سنوات ثمانية اجزاء ، وينتهي الجزء الثامن ، وحرف «C» لما ينته بعد ، اي الحرف الرابع من حروف الالفباء البرتغالية .

ولا شك ان في جهد الاستاذ باسيل نفعاً كبيراً للغة العربية وبياناً للمدى الذي اثرته في غيرها من اللغات التي ارتبطت مصالح ابنائها بها . فهل تحاول مجامعنا اللغوية ان تفيد من هذه الدراسة المعجمية القيمة فيما تؤلف من معاجم وما تنحت من مشتقات جديدة ؟

الحياة القومية في الاتحاد السوفياتي

للاستاذ قدري قلعجي – ١٢٠ صفحة – منشورات الطريق بيروت

جماعات انسانية كبرى مشرفة على الفناء ، جماعات لا مثيل لتباينها وتنوعها ، كانت تعيش بين قارتين مختلفتين ، في مجاهل القطب وصحارى آسيا وفي سهول اوكرانيا وجبال القفقاس ، وامل احداها كانت تجهل وجود الاخرى ، او لعلها كانت تظل معها على خصام ونزاع دائمين . . ، كل واحدة تغار على استقلالها الضيق وتفخر بقوميتها الاقليمية وتقاليدها الوطنية ، وعلى اغلب هذه الجماعات كان الجهل ينشر ظلاله الكثيفة فيقيدها في اغلال شديدة من العبودية والذل والاستغلال . . .

هذه الجماعات نفسها . . اصبح منها بعد عشرين سنة امم حية كبرى ، تتطور رويداً نحو حياة ملؤها الحرية التامة ، والمساواة في الحقوق ، وتؤلف اتحاداً من ١٦ جمهورية اشتراكية سوفيياتية ، تشترك كلها اشتراكاً فعلياً ودقيقاً في توجيه سياسة هذا الاتحاد الكبير ، بصداقة اخوية ومعاونة حرة شريفة جعلتا منها اعضاء متضامنين متحابين في اسرة كبيرة واحدة .

وارتقت هذه المجموعة في شتى مناحي الحياة ، فزاد الانتاج الصناعي عام ١٩٣٩ اكثر من ٩ مرات عما كان عليه قبل الحرب العالمية الاولى ، وزاد في بعض فروعه اكثر من ٣٣ مرة . . وتطورت الزراعة تطوراً واسعاً فتحولت الصحارى الى جنات غناء . . وكذلك الثقافة التي كانت محصورة في فئة معينة من الناس لتحرم الآخرين من نعمة التربية والمعرفة والرقي اصبحت الآن ملكاً شائعاً للناس وميسراً لكل راغب . . .

كيف حصلت هذه النقلة ؟ ومتى تم هذا الانقلاب ؟ وما هي الاطوار التي تقلبت فيها الحياة القومية حتى بلغت هذه النتيجة ؟

ان الجواب عن ذلك كله في صفحات هذا الكتاب الذي يقدمه الى قراء العربية زميلنا الاستاذ قدري قلعجي رئيس تحرير «الطريق» في عرض تاريخي واضح مدعم بالوثائق والارقام .

الخطيب البغدادي

للاستاذ يوسف العش – ٢٧٦ صفحة – المكتبة العربية بدمشق

الاستاذ المؤلف معروف بدقة البحث وسلامة النظر في منهج التحقيق ، وجاء كتابه هذا شاهداً يؤكد معرفتنا به . فقد جمع له من حسن الاستيعاب ووفرة المادة ما يجعل منه دراسة شخصية فريدة ، تعرف بالخطيب البغدادي صاحب كتاب تاريخ بغداد الكبير كما تشاء ان تعرف ، من حياته على ما اجتمع لها من ظروف ، ومن ثقافته على ما اتفق لها من الوان ، ومن طبيعته على ما اضطرب فيها من اهواء وميول واخلاق . ثم ختم كل هذا بدرس تحليلي مستفيض عن كتابه تاريخ بغداد الذي عرف به ، وقد وفق خلال ذلك الى استنتاجات جد قيمة تلقي ضوءاً على غوامض كثيرة ، اطافت بترجمة الخطيب راجع ص ٤١ و ٦٤ – ٧٣ و١٥٦ .

ومن الخير ان نسير عجالاً مع الاستاذ المؤلف خلال الكتاب ، كي يدرك القارىء مدى الجهد المبذول فيه .

يبدأ الاستاذ المؤلف ص٨ – ١٤ برسم صورة لعصر الخطيب ، جاءت ناطقة بكل ما احتشد فيها من صراع المذاهب واعتراك السياسات .

وفي ص٢٥ – ٥٥ يضع حياة الخطيب موضع الدرس الدقيق ، فيرينا كيف كان مثالاً للمحدث الكامل الاداة ، وكيف بدأ يدرس الفقه ثم عدل عنه الى الحديث ويحدثنا عن بزوغ نجمه وعن فضله في الكشف عن تزوير كتاب عربي الى النبي العربي ، يتصل باعفاء نفر من ضريبة الاموال ، الى اشياء اخرى تتصل بتحامل خصومه عليه وهجرته الى دمشق فصور ، وعودته الى بغداد ثانية .

وفي ص ٥٦ – ٥٧ ابرز مخططاً نفسياً بمزاياه وحلاه المعنوية ، فاذا هو شخصية محببة لا تزمت فيها ولا تعقيد ، واذا به – وهو المحدث الوقور السمت – يفكه ويتظرف في كتاب التطفيل ويجن ايضاً فيما عزي اليه من شعر جميل ، واسمعه كيف يقول :

تغيب الخلق عن عيني سوى قمر	حسبي من الخلق طراً ذلك القمر
محله في فؤادي قد تملكه	وحاز روحي فما لي عنه مصطبر
فالشمس اقرب منه في تناولها	وغاية الحظ منه للورى النظر
وددت تقبيله يوماً مخالسة	فصار من خاطري في خدة اثر
وكم حكيم رآه ظنه ملكاً	وردد الفكر فيه انه بشر

وفي ص ٧٦ – ٢٠٩ تكلم عن ثقافة الخطيب ومصادرها وتآليفه وآثارها ، ولقد اوسع فيه المؤلف ما شاء واجاد كما ترغب له ، ولعل هذا الفصل من اجود ما كتب في مثل موضوعه ولاسيما ما يتعلق منه بوصف ودرس تاريخ بغداد .

وفي ص ٢١٨ يبالغ بدراسته قمتها ، فيبحث مذهب الخطيب في التأريخ والنقد ويفصل نزعاته المختلفة ، كما يذهب فيناقش في هدوء المآخذ عليه كالتصحيف والاخذ عن الضعفاء والاحتجاج بالموضوع من الحديث ، فينصفه فيما له وفيما عليه .

وان كنت اتمنى عليه لو توسع في تفصيل وبسط مذهب الخطيب

النقدي في التاريخ، بالاستناد الى مذهبه النقدي في الحديث خصوصاً والخطيب يرجع اليه الفضل في تركيز وتسوية ما كانوا يدعونه بعلم مصطلح الحديث . كما كنت اتمنى له ان لا يتساهل في بناء الجملة الذي جاء رخواً حيناً ومنكوراً حيناً آخر ، وفي استعماله بعض المفردات الخاطئة الشائعة من مثل «البحوث» بدل ابحاث و«نضوج» بدل نضج الى كثير مثلها .

ورغم ما قد حشد الاستاذ المؤلف لبحثه من مراجع وفيرة بين مطبوعة ومخطوطة ، خانه التحري احياناً في تدقيق بعض الاعلام ، من مثل « خبر الزبا وجدعة » ص ١٠٩ وهو مصحف عن « الزباء وجذيمة » . وخبرهما مشهور معني به في كتب الادب والنوادر ، وهو يدور على حادث انتقام وقع بين الزباء او زينب المعروفة في التاريخ الروماني الشرقي بزنوبيا ملكة تدمر وبين جذيمة الابرش ملك الحيرة .

ومثل « الناسخ والمنسوخ ليزيد النحوي » ص ٩٤ ، وصحته لليزيدي النحوي معاصر الكسائي . ومثل « كتاب العلم لابي خيثمة » ص ٩٦ ، وانما هو ابن ابي خيثمة من قدامى المحدثين وائمتهم . ومثل « المجاز لابي عبيد » ص١٠٣، والمعروف في تسميته مجازات العرب ويعني به الاساليب وليس المجاز البلاغي المقابل للحقيقة . ومثل « كتاب وفود العرب على كسرى وكتاب خبر ابي زبيد في صفة الاسد » ص ١٠٨ ، عدهما في التاريخ وحقهما ان يعدا في الادب ولاسيما خبر ابي زبيد الطائي في وصف الاسد عندما سأله الخليفة عثمان ذلك . ومثل « فتيا فقيه العرب » عده في مجهول الموضوع ص ١١٢ ، والحال انه في اللغة فهو يتضمن احاجي لغوية مثل المقامة الخاصة بذلك عند الحريري . ومثل كتاب الكافي للزبيري ص ١١٢ ، عده في المجهول وهو في التاريخ .. الى هنات يسيرة مثلها كان حسناً ان يتحراها ، والى استفهامات غير يسيرة نثرها حول طائفة من الاعلام والكتب كان جديراً ان يحققها لاسيما وتحقيقها ليس بالعسير .

ومهما يكن من شيء فالكتاب دراسة دقيقة وشاملة ، وهو في جملة كتب محققة قليلة نشرت حتى هذا العهد القريب .

عبدالله العلايلي

عودة السفينة

للدكتور اسحق موسى الحسيني – ٧٢ صفحة – مكتبة فلسطين العلمية

ان السفينة هنا ، هي الامة العربية ، ومن فيها ، ابناؤها ، وهم قسمان متفائلون ومتشائمون حول قدرتها على ان تنجو بنفسها وسط العواصف الهوجاء . وسكان هذه السفينة في حالة وعي ، اذن فثمت سبل تؤدي الى النجاة ، منها ان يميز راكبو السفينة الجوهر من العرض والضروري من الكمالي ، وان يعرفوا ان المجموع مقدم على الفرد ، وان يعالجوا قضية المرأة ويمنحوها حقوقها الطبيعية حتى يتعاون الجميع على الانقاذ .

ولن تعود السفينة الى شاطىء السلامة الا بعد ان يركز ابناؤها حياتهم على الثقافة الواسعة الملائمة لطبيعتهم ، والا بعد ان يقيموا حياتهم الاقتصادية على اسس قوية ، والا اذا كونوا في انفسهم اخلاقاً سامية .

ولكن هذه « الشروط » الكثيرة تضعف الامل بعودة السفينة فهي مطالب جد شاقة .. اذن لا بد لنا من « ان نؤمن ايماناً لا يتزعزع بوجودنا وبعودتنا . وعلى الذين يغمرهم الجزع في الحاضر ان يلتفتوا مرة الى الماضي ومرتين الى المستقبل »

« وعلينا ان نصون السفينة من العطب ، ومن ادعاء من يدعي ان له حقاً في ثقب الجزء الذي يملكه منها » .

« فكن انت من البحارة الذين يصونون السفينة ويدفعونها الى الشاطىء ، لا تقل ليتقدم غيري .. اذا قلت هذا سيقوله غيرك ، واذا قاله غيرك فلن يعمل احد واذا قلت : ساتقدم انا .. سمعت اصواتاً تنبعث من كل جانب : سأتقدم انا وعندئذ تبلغ السفينة شاطىء السلامة » .

بمثل هذا الوصف الواقعي للحياة الاجتماعية وبمثل هذا التشخيص للامراض التي تعتري الامة العربية في فلسطين ، وتنخر في جسدها اكثر فأكثر .. ثم بمثل هذه المعالجة واقتراح انجع الادوية ، تمتلىء صفحات الكتاب ، وتغمرها غمراً . وروح المؤلف المخلصة الحارة ، واندفاعه الصادق المؤثر ، ينتقلان الى القارىء فيشيعان في نفسه العزيمة والاقدام والامل .

وفق الدكتور الحسيني ابعد التوفيق في هذا الكتاب التوجيهي الذي يجدر بكل عربي ان يطلع عليه ، وان يفهم الادواء المتغلغلة فينا ، وان يعمل على مكافحتها .

اذا عنينا بمعالجة هذه الموضوعات ، واذا كثرت في مكاتبنا امثال هذه الكتب التوجيهية ، واذا استطعنا ان نفيد منهما وان نطيع نصائحهما .. فاننا واثقون جداً بأن السفينة بالغة دون ريب شاطىء السلامة ، وفي وقت اقرب مما نتخيل ان شاء الله .





في سيمائها معالم الجد والوقار، وآثار النشاط المتواصل، ورصانة العارف بما يتطلبه القيام بكل عمل ذي شأن من صبر لتحمل ما يعتري طريقه من الصعوبات وما يتخللها من الخيبات قبل الوصول الى الغاية المنشودة، فهي من هذه الناحية قائدة ناضجة. وتنير هذه السماء الوقورة الرصينة عينان جميلتان جداً باشعاع من العذوبة الحلوة تنتشر على طلعة السيدة الجليلة في كل مرة تبتسم فيشعر المتحدث اليها بجاذبية قوية تدفع في نفسه عاطفة هي مزيج من الاحترام العميق والحب العفوي، فيطمئن الى محضرها ويخلص لها ويحدثها بكل طلاقة وصدق. تلك هي بعض الانفعالات السريعة التي تغمر نفس المتحدث الى السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي. وقد خطر لي ان انتهز فرصة وجودها في ربوعنا لاتحدث اليها في شؤون تهم قضية المرأة التي جاهدت في سبيلها وما تزال تجاهد منذ سنين طوال، واحببت ان اعرف رأيها في السلوك الذي يجب ان تسلكه المرأة العربية في هذه المرحلة من قضيتها، فالقيت على حضرتها الاسئلة التالية:

(١) س — اننا نرى يا حضرة السيدة الجليلة ان مؤتمر القاهرة قد انجز الحلقة الاخيرة من سلسلة المحاولات العديدة التي قامت بها الحركة النسائية في العالم العربي من اجل التوطئة لاعطاء قضية المرأة مكانة لائقة بين قضايا المجتمع العربي، فقد احدث هذا المؤتمر ردات مختلفة في الاوساط العربية جعلت لهذه القضية مكانة بارزة بين قضايا الانسان العربي وقد بات بالامكان بعد ذلك ان نعتبر ان قضية المرأة قد اجتازت نهائياً مرحلة التوطئة وبامكانها سلوك مرحلة التنفيذ الشامل، فما هي الخطة التي تفرضها زعيمة الحركة النسائية العربية في سبيل تنفيذ جميع المقررات التي اتخذت في مؤتمر القاهرة، مع الاخذ، بالطبع، بعين الاعتبار، درجة تطور كل قطر؟؟.

فبرقت عيناها ببريق الحماس واجابت مبتسمة:

ج — ان الحركة النسائية تسير مع جملة قضايا الانسان في سبيل من التطور العالمي جارف، وليس من قوة يمكنها بعد اليوم الوقوف في طريق هذا السيل الخير. واذا ما اصر الرجل، على الرغم من ذلك على محاربتنا والوقوف في سبيل نيلنا حقوقنا الطبيعية، فاني ارى ان الخطة الصحيحة، هي عمل المرأة على انماء كل عوامل الكفاءة في شخصها اولا، فالاحترام والتقدير امران لا يفرضان فرضاً بل يكتسبان اكتساباً، واراني لا اظن ان احداً يجرؤ على الحد من قيمة انسان امرأة كان هذا الانسان ام رجلاً، عندما تتوفر فيه كل معالم الكفاءة، كالعلم والوعي، والرصانة في تفهم الامور ومعالجتها. والوسيلة المباشرة لتمكن الانسان من نيل هذه الصفات هي التعليم الاجباري المجاني، ومن جملة الوسائل التي يجب ان تلتجأ اليها المرأة للوصول الى هدفها، هي تربية اولادها تربية تقدمية، وازالة كل ذهنية رجعية تأخرية من تفكيرهم، فلا يمكنهم بعد ذلك ان يحاربوا قضيتها، بل بالعكس فانها تكسبهم في معسكرها في المستقبل.

(٢) س — لكن القضية النسائية، ايتها السيدة الجليلة قد اتخذت شكلا عالمياً ودخلت في مرحلة تستدعي اتخاذ تدابير تأتي بنتائج اسرع من التي تفضلت بذكرها، فان نساء العالم تقدمن بمذكرة من مؤتمر سان فرانسيسكو طلبن فيها مساواة المرأة بالرجل في جميع ميادين النشاط البشري، وفسح مجال التخصص امام المرأة في جميع فروع العمل، واعطائها اجوراً معادلة لاجور الرجل عن كل عمل يعادل كمية ونوعاً عمل الرجل، وايجاد عالم لا مكان فيه للخوف والذعر ليتسنى لهن تربية اولادهن في جو من الطمأنينة والسلام الخ. فأتت شرعة الامم المتحدة تعترف بنص صريح وعبارات متكررة بمساواة المرأة بالرجل دون ما تمييز او تفريق بينهما على الاطلاق، وفسحت امام الجنسين معاً مجال الاشتراك في تأليف الهيئات

ان علاج فلسطين في فلسطين ايها السادة ، اؤكد لكم ان القضية الفلسطينية وهي قضية العالم العربي ، لتخطو خطوات واسعة نحو التوفيق والنجاح، لو كانت احزابها مجتمعة الكلمة، ملتئمة الشمل، موحدة القيادة . ومن المؤلم حقاً ، ان نجد هنا في لبنان ، اتحاداً للاحزاب اللبنانية ، لمكافحة الصهيونية ، الذي يرأسه صديقي الكريم الاستاذ محمد جميل بيهم ، بينما لا نجد في فلسطين اتحاداً مماثلا، يستطيع اذا سئل عمن يمثل القضية ? ان يقول انا، ومن ورائه فلسطين ، ومن وراء فلسطين الامة العربية .

من العجب حقاً ، ان تكون هنالك قضية يقف فيها جانب واحد ، هو جانب المعتدي ، ويغيب عنها المعتدى عليه .

هذه كلمة حق ، لا يراد بها الا الحق ، هذه كلمة مخلصة آن لاخواننا في فلسطين ان يسمعوها ويعوها مخلصين .

اما واجب جامعة الدول العربية فهو رهين الى حد بعيد ، بموقف الاحزاب الفلسطينية . ان امام الجامعة واجبات عملية كثيرة ، الاسراع فيها واجب ، وسير السلحفاة فيها تهاون وتخاذل ، وواجب مراعاة السياسة العليا بغيض الى قلوب العرب بالامس ، وهو أبغض ما يكون الى قلوبهم اليوم ، بعد ان اخلصوا للحلفاء ، فقيّدوا بموقفهم صفحة من تاريخ هذه الحرب .

الاستاذ البير اديب

صرّح اخيراً امين سر جامعة الدول العربية، بان مجلس الجامعة لن يجتمع في القريب العاجل ، لانه لا حاجة ملحة تدعو الى الاجتماع قبل الدورة العادية . وكنا نود ان يكون للدول العربية وزراء مفوضون في مجلس الجامعة ، وان تعقد الجامعة مجلسها بصورة دائمة ، في هذه الحقبة الخطيرة من تاريخ العرب ، التي نمرّ بها اليوم . ففي الغرب مؤتمرات تعقد ، وتصريحات تلقى ، ومقررات تعلن ، يبتّ فيها بمصير غير قطر واحد من اقطار العرب ، في مختلف المناحي السياسية ، او الاقتصادية ، او الثقافية . وأقل ما ينبغي ان توفد الجامعة، مندوبين مزوّدين بالحجج والاسانيد للقيام بالدعاية اللازمة، حيث تعقد هذه المؤتمرات ، وتبين وجهة نظر العرب للمؤتمرين الذين كثيراً ما يجهلون قضايانا ، كما اتضح ذلك ، للوفود العربية التي اشتركت في مؤتمر سان فرنسيسكو .

يجب ان نسعى لافهام هؤلاء السادة ، الذين يتحكمون الى حد بعيد بمصير العالم ، انه من العقم الغريب ان يحاولوا اليوم، تأييد انشاء دولة ، تقوم على اساس ديني يفرضونها فرضاً على حسابنا نحن، بينما هم يحاولون محو اثر السياسات التي تقوم على العنصرية ، فاذا كانت العنصرية بغيضة رجعية في منطق سياسة العالم الجديد، فكيف يفسرون القومية الدينية — ان صح التعبير — ايفسرونها يا ترى ، بانها من السياسة التقدمية ?

فمن حقنا ان نتساءل اليوم ، ايعالجون شؤون العرب بالعقلية التي عالجوها بها في مؤتمر الصلح بعد الحرب الماضية، وهل يحتفظون بالعقلية ذاتها لمعالجتها بعد هذه الحرب .

ان الدعاية الصهيونية ايها السادة ، تعتمد الدقة والتنظيم ، والصهيونيون يسيطرون بنفوذهم على الصحافة العالمية ، بينما الدعاية العربية ما تزال ، في جمود وسذاجة ، يجب ان ندرك هذه الحقيقة: ان العالم الخارجي ، في ربع القرن الاخير، لم ينظر الى قضية فلسطين، الا من نافذة الدعاية الصهيونية . وان حل القضية الفلسطينية ، يصبح واضحاً امام الذين يخترقون حجب هذه الدعاية ، وهو لا يتعدى ابسط قواعد العدل والانسانية .

فعلى الاحزاب الفلسطينية اولاً ان توحّد كلمتها، وعلى جامعة الدول العربية ثانياً ، ان تقوم بايفاد هؤلاء المندوبين ، هذا عمل شاق ، باهظ التكاليف والجهود ، غير اننا اذا عرفنا كيف نفتح على من اغلق على قلوبهم ، وابصارهم، وعقولهم ، ضمنا نجاح قضيتنا، ولله رجال اذا ارادوا اراد .

مجمل الأحداث السياسية والحربية في شهر

٣٠ آب ١٩٤٥ – دخلت قوة بحرية بريطانية الى ميناء هونغ كونغ لتحتل هذه المستعمرة البريطانية .

٣١ – توفي في مصر غبطة المثلث الرحمات الانبا مكاريوس البطريرك القبطي .

١ ايلول – احتفل على ظهر البارجة ميسوري بتوقيع وثيقة الاستسلام الياباني ، وقد جاء فيها ان سلطة الامبراطور والحكومة اليابانية ستكون خاضعة للقائد الاعلى للحلفاء . وقد اعتبر هذا اليوم يوم النصر على اليابان .

القت السلطات البريطانية القبض على الفيلد مارشال مانشتاين .

٣ – استدعى وزير خارجية بريطانيا ممثلي بريطانيا في طهران وبيروت وجدة وبغداد والقاهرة لاستشارتهم .

نالت وزارة السيد سامي الصلح ثقة مجلس النواب اللبناني بالاجماع .

٤ – زار الدكتور غروزا رئيس وزراء رومانيا موسكو بصحبة وزير خارجيته .

٥ – عادت القوات البريطانية الى سنغافورة اعظم واقوى قاعدة بحرية في الشرق الاوسط بعد ان ظلت ثلاث سنوات ونصف السنة في قبضة اليابانيين .

٦ – ارسل الرئيس ترومان الى الكونغرس كلمة ضمنها برنامج اعادة العمران ومساعدة الحلفاء بعد الغاء قانون الإعارة والتأجير .

صرح رئيس وزارة تركيا السيد سراج اوغلو قائلاً : ان صداقتنا مع بريطانيا ستظل العامل الاقوى في سياستنا الخارجية .

٨ – ألقي القبض في منطقة الاحتلال الاميركي في المانيا على ٨٠ الف مشبوه ، وقد اتخذ هذا التدبير بعد ان قويت حركة التخريب والمقاومة .

٩ – وقع الاستسلام الرسمي لمليون جندي ياباني في الصين .

وصل الى روما سمو الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق .

١٠ – انضمت المملكة العربية السعودية الى اتحاد البريد الدولي الذي مقره برن وابرمت ميثاق البريد الدولي .

١١ – بدأ مؤتمر وزراء خارجية الدول الخمس الكبرى في احدى دور لندن ، وهؤلاء الوزراء هم بيفن البريطاني ، وبيرنس الاميركي ، ومولوتوف الروسي ، وبيدو الفرنسي والدكتور وانغ شي الصيني .

اطلق توجو رئيس الوزارة اليابانية السابقة النار على نفسه محاولا الانتحار عندما حاول ضباط الاستخبارات من الحلفاء ان يقبضوا عليه بناء على الامر الذي أصدره اليهم الجنرال ماك ارثر بوصفه احد مجرمي الحرب ، وقد اسعف حالاً فأنقذت حياته .

١٢ – ارسل الاستاذ عبد الرحمن عزام امين سر جامعة الدول العربية كتابا الى وزراء الخارجية العرب ضمنه التوصيات التي وضعتها اللجنة الاقتصادية لتعزيز التبادل الاقتصادي والمالي بين دول الجامعة .

١٣ – ابلغ رئيس وزارة ايران من سفير روسيا في طهران ان على الحلفاء ان يسحبوا جنودهم من ايران قبل يوم ٢ آذار القادم .

١٤ – سحبت اسبانيا جنودها من اراضي طنجة .

حرمت الحكومة الاسبانية التحية برفع اليد على الطريقة النازية .

١٥ – غادر الاستاذ عبدالرحمن عزام الامين العام للجامعة العربية القاهرة الى الحجاز لمقابلة الملك عبد العزيز آل سعود .

١٦ – ثار جمهور من الشعب الجائع في تولوز في فرنسا محتجا على ارتفاع الاسعار واقتحم مخازن الطعام والفنادق .

١٧ – نفذ في القاهرة حكم الاعدام الصادر على المحامي محمود العيسوي قاتل الدكتور ماهر باشا .

طالب اهالي الهند الصينية الانفصال عن الحكم الفرنسي وقرروا تأليف جمهورية .

وصل الامير عبدالاله الى انقره وقد استقبله رئيس الجمهورية التركية ورئيس الوزراء .

وصل الى لندن وزير خارجية ايطاليا بدعوة من مؤتمر وزراء الخارجية للدول الخمس .

١٨ – وصل الى بغداد الاستاذ عبد الرحمن عزام بك متابعاً اتصالاته بالحكومة العربية .

قدم ستمسون وزير الحربية الاميركية استقالته ، وقد رشح الرئيس ترومان روبرت باترسون مساعد وزير الحربية ليشغل منصب الوزير المستقيل .

١٩ – زار الاستاذ عزام بك عمان وقابل الامير عبدالله .

اعدم في سجن براغ الزعيم النازي روبرت شميدت مساعد هملر .

٢٠ – اذاع اللورد ويفل ان حكومة العمال البريطانية قررت منح الهند الاستقلال الذاتي وتأليف حكومة هندية ، وهي تنوي عقد مجلس تأسيسي لوضع دستور الهند .

وصل الاستاذ عزام بك الى دمشق حيث اجتمع الى رئيس الجمهورية واركان الحكومة

٢١ – اجتمع الاستاذ عزام بك برئيس الجمهورية اللبنانية واعضاء الحكومة .

٢٢ – عاد الى اثينا رئيس رئيس الاساقفة دامسكينوس الوصي على عرش اليونان بعد ان زار لندن وباريس .

طلب الجنرال ماك ارثر معلومات عن جميع موارد اليابان المالية العامة منها والخاصة وطلب حساباً عن ميزانية القصر الامبراطوري الياباني .

٢٤ – احالت الحكومة البريطانية قضية فلسطين والهجرة الصهيونية اليها لمجلس الامم المتحدة لكي يدرسه وقد اتخذت بريطانيا هذا القرار بعد ان طلب الرئيس ترومان منها السماح لمائة الف صهيوني بدخول فلسطين حالاً .

قابل في بيروت السيد نوري السعيد ، العائد من اميركا واوربا رئيس الجمهورية اللبنانية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وسافر بعدها الى دمشق لمقابلة حكومتها .

٢٥ – احتل الفرنسيون سايغون في الهند الصينية ، واخذوا حساب القوات الانامية التي كانت تسيطر عليها .

درس مجلس وزراء الخارجية الخمسة مشروعاً يرمي الى تموين النمسا لمدة طويلة واقتراحاً بتطبيق نظام الطرق المائية في اوربا ، كما درس امكان الاسراع باعادة رعايا روسيا الى اوطانهم .

مرض الاستاذ فارس الخوري رئيس الوزارة السورية مرضاً يمنعه من مزاولة منصبه ، وربما قدم استقالته قريباً .